دار الحكمة

قضية العرب

١

علي ناصر الدين

الطبعة الثانية

Nāṣir al-Dīn, ʿAlī.
Qadīyat al-ʿArab

عَلي ناصِر الدِّين

قَضِيَّةُ العَرَب

الناشر: دار الحكمة

بيروت – ١٩٥٥

للمؤلف

●

الصحافة	(ترجمة)	نفد
جنون الابطال	»	نفد
السياسة اليهودية في أوروبة		معد للطبع
ايمان ساعة		نفد
الاتحاد السوري العراقي		
هكذا كنا نكتب		

الإهداء

•

الى روح فيصل الكبير ، الزعيم ، والقائد ، والملك الخالد ، الى ارواح الذين استشهدوا في سبيل قضية العرب في كل مصر ، منذ ان تفتق ضمير الدهر ، عن هذه القضية ، فانفتح لها ضمير افراد معدودين ، من نبهاء العرب حتى اليوم ، الى المؤمنين من بين الذين اشتغلوا ويشتغلون لهذه القضية ، من شبان العرب وشاباتهم في كل قطر ولا سيما ، هؤلاء الذين القي اليهم في العقد الثاني من القرن العشرين علم النضال للتحرر والاستقلال ، فرفعوه بقوة وايمان وخيلاء ، ودافعوا وسيظلون يدافعون عنه ، بقوة وايمان وخيلاء ، الى ان يتم الله نوره ..

الى شبان العرب وشاباتهم بصورة عامة ، في آسية وافريقية ، اهدي كتابي هذا .

المؤلف

مقدمة

الطبعة الاولى

كتبت هذا الكتاب في خلال الحرب العالمية الاخيرة ، وقد يكون من الحرمة للحقيقة وللدقة ،القول : اني فرغت من كتابته، في خلال الحرب العالميه الاخيرة . فقد كنت بدأت اكتبه في اواخر شهر آب من عام ١٩٣٩ . واشتعلت نيران الحرب ، في اليوم الثاني من شهر ايلول من ذلك العـــام . فاعتقلتني السلطات الغاصبة ، المستعمرة ، الحاكمة يومذاك ، في اليوم الثالث من ذلـك الشهر ، ولم اكن كتبت الا صفحات ، لا يتجاوزن الخمس او اكثر قليلا ، فأسدل الستار على الكتاب. و . . . علي ّ ايضاً . . .

كانت فكرة الكتاب مختمرة في رأسي ، وكانت هذه القضية « قضية العرب » تشغل عقلي، وفكري ، وروحي ، بصورة ملحة، تأخـذ علي جماع ذاتي و كينونتي ، فاشعر بقدسية الفرض الذي تفرضه طبيعة هذه القضية ، على العاملين المؤمنين ، في عرضهـــا ، وشرحها ، وتبسيطها ، فتستوي ، كما ينبغي لها ان تستوي، صورة ذهنية بارزة دقيقة ، جلية الملامح ، واضحة القسمات ، مفهومة فهما

تاما كاملا في « كليتها » وفي « جزئياتها » ؛ اشعر بذلك ، فما اهم بان الي نداء هذه القدسية ، حتى يصرفني عن التلبية نداء آخر ، بل نداءات يومية متتالية ، غير منقطعة ، تتصل من النداء الاقدس بالصميم : نداء الغضب للحق ، جزأ به ، ويخوض في تهشيمه وطمسه ، المستعمر الغاشم . ونداء الغضب للكرامة ، يسخر منها ، ويتهجم عليها ، ويهتك سترها ، المستعمر الغاشم . ونداء الغضب للحرية ، يعبث بها ، وينتهك حرمتها ، ويجلدها بسوطه ، المستعمر الغاشم . ونداء الحاجة الطبيعية الى العيش ، ادنى الحاجات ، ولكن أشدها الحاحاً : الحاجة الى الرغيف ، يأخذه المستعمر الغاشم ، بيديه الاثنتين ، فيقطعه تقطيعاً ، ويضرب بقطعه الارض ، ثم يدوسه بحذائه ؛ واهل الرغيف ينظرون اليه ، في وجوم ، وفي هلع . الحاجة الى اللقمة ، ينتزعها المستعمر الغاشم ، باصابعه القذرة ، يصطنع لها القوة ، من فم صاحب اللقمة الجائع الصابر ، ويرمي بها الى الكلاب .

وفي كل نداء من هذه النداءات ، قدر كاف ، من العوامل التي تهيب بك الى النضال ، الى المكافحة العاجلة المستمرة لعلة العلل في هذه النداءات : المستعمر اللئيم العابث ، وانت في كل ساعة ، ان لم اقل ، في كل دقيقة ، قلق النفس ، مضطرب البـــال ، معذب الذات ، يلح عليك الغيظ ، وتساور نفسك الثورة ، ويضغط على اعصابك الحرمان ، ويهددك خطر الجوع ، فتعجز ، ـ وتأبى ان تعجز ـ وتكاد تتمزق او تتحطم .

على ان الغريب - وقد لا يكون غريبا - ان يتفتق العجز، عن قدرة، وينبثق من الضيق الشديد، الفرج.

ذلك ان الله سبحانه وتعالى، شاء - ولا راد لمشيئة الله - ان يقيض لي، من مراحل تحكم المستعمرين الغاشمين، الاقوياء الضعفاء، في العناصر المادية من ذاتي، مرحلة استقرار، في اعتقال، قعد بي - لانقطاع الوسائل - عن النضال العام. وتيسر لي ان أتم كتابة هذا الكتاب، الذي ارجو ان يكون فيه - على هينته - شيء من الخير لقومي، يصح ان يكفر به، قلة غنائي عنهم، واثمي بالتقصير في خدمتهم. لقد كان هذا الكتاب قليل الحظ، وكنت، به، قليل الحظ معه، فان له لقصة، تبدأ بعد الانتهاء من كتابته، كما كانت له القصة التي عرفت، بعد البدء في كتابته.

خرجت من المعتقل في اواخر سنة ١٩٤٣. وفي اوائل سنة ١٩٤٤، احببت ان اطبع كتابي هذا، وكانت المراقبة في ذلك الحين، شديدة جداً، فخشية ان يمعن فيه المراقبون - وكانوا خليطاً من انكليز وفرنسيس وعرب لبنانيين - شطباً وتعديلا، فكرت في ان اطلع عليه، صديقاً لي، كان يومئذ، على رأس الحكم في لبنان، فقلت له: هذا كتاب عزيز علي، واحب ان لا تنظر اليه المراقبة، نظرة وجل او عداء، فتشوهه، وانا حريص على سلامته، فاقرأه غير مأمور، يتكون لديك فكرة عنه، ما اشك في انها تحملك على مشاطرتي هذا الحرص؛ قال: او يكون كتاب مثل

هذا ، تكتبه انت ، في حاجة الى مراقبة ؟ ! او في متناول خطر المراقبة ! وفي مثل هذا العهد ! عهد التحرر بعد العبودية، والاستقلال بعد الاستعمار! اتركه لي ، اطالعه ، ثم ننظر في الامر . واطمئن.

وتركت لصديقي الكتاب ، واطمأننت .. ومرت اسابيع ، فشهور ، فعاودت الصديق بالمسألة عن الكتاب ، وعاوده اصدقاء لي وله، بالمسألة عنه ، ولكن الصديق .. زعم ان الكتاب ضاع ... او ضاعت تلك النسخة منه ، كما قال ... وكان ما يزال لدي نسخة ، كانت هي الاخرى بين يدي صديق كريم ، عالم بحاثة وقومي امين ، طلبت اليه ان يبدي لي ما قد يعوز الكتاب من ملاحظات ، استنير بها ، واهتدي بهديها ، وكان صديقي هـذا نائياً ، ما للاتصال به حينئذ من سبيل . فلفتني مـلاءة من الم ، وعذاب روح ، واحاطت بي غيوم ، من خيبة امـل ، وضعف يقين . فانا ارجو لنفسي من صديقي هذا ، عذراً ، وامنح من نفسي ، لصديقي ذاك ، اوبالحري لذاك ، الذي كنت انا صديقه ، عذراً ـ غفر الله له ...

قد يرى القارىء ، في هـذا التفصيل ، شيئـاً يقول فيه ، انه لايعنيه ، فرويد هذا القارىء الكريم ، انها نفثة مكلوم ، وقد يكون في بعثها هكـذا ، شيء من العبرة ، وشيء من التنبيه ، ثم اننا نحن ، جماعة القلم ، لسنا من حديد وخشب ، وهب اننا من خشب وحديـد ، فان للحديـد والخشب نوعا من البث

والانين ...

وبعد ، فلست اعرف ، من بين امم الدنيا ، امة نزل بها من الكوارث والمحن ، ما نزل بهذه الامة العربية ، في عهد من الانحطاط طال امده ، ولم تفن ، او تندمج في غيرها من الامم ، او يشد عليها الشلل على الاقل ، غير هذه الامة .

وقد كان من الاسباب الرئيسية الاولى برأيي ، في امتداد عهد الانحطاط ، وفي امعان التفسخ ، وتفشي الضعف والفقر والذل في العرب ، جهل العرب انفسهم ، هذا الجهل المركب ، او الذي ركب لهم ، من انواع من الجهل ، متفاوتة المقادير ، متنوعة الالوان . هذا الجهل الذي اظلمت له آفاق العرب ، فتناولت هذه الظلمة ، بمقدار ، آفاق الدنيا كلها . فليس غير العرب ، امة ، تستطيع ان تملأ الدنيا ، من غير ما تفريق ، بين العناصر ، والاجناس ، والاديان ، والالوان ، بالانوار الضاحكة المحسنة : انوار الهدى ، والعدل والصلاح والسمو . وستفعل . ولكن ، لكي يقدر العرب ، على حمل هذه الرسالة ، يجب ان تنير هذه الانوار من جديد ، آفاقهم اولاً ؛ ثم يفيضون منها على الدنيا ، كما فعلوا من قبل ، ما شاءت لهم مكارم الاخلاق .

ولن يؤدي العرب ، رسالتهم هذه ، قبل ان « يكسبوا » قضيتهم القومية ، وهذه هي قضيتهم ، يصورها هذا الكتاب المتواضع ، فيجعل منها صورة ذهنية ، بارزة واضحة .

ولست اعني بقولي هذا ، انني ادعي الاحاطة ، بكل ما يمكن ان يكتب في موضوع هذا الكتاب ، استغفر الله ، ولكنني اعتقد ، انني فتحت الباب ، لاهل الفكر والقلم ، من اولي العلم الغزير ، والاطلاع الوافر ، والايمان المكين ؛ واين انا من هؤلاء !

وسيشعر القارىء الكريم ، بانني تعمدت طريقة السؤال والجواب ، تعمداً ، في كتابي هذا ، واخترت السهولة في التعبير متعمداً ايضاً ، وذلك لاسهل لجمهور القارئين ، استيعاب الفكرة التي اعالجها استيعابا تاماً . فما انكر ، انني ، نويت ، منذ ان كتبت اول سطر من هذا الكتاب ، ان أخاطب « الجماهير » العربية ، في الدرجة الاولى ، بكتابي هذا الصغير .

واني متوجه الى الله سبحانه وتعالى ، بكل ما في ذاتي العربية ، من ايمان وحب ، اسأله ان يكون في هذا العمل الضئيل ، شيء من الخير ، لامتي ، مهما يكن قليلا ، ذلك حسبي ، وهو خير مسئول ، وهو ولي العاملين المؤمنين الصابرين .

بيروت ٥ حزيران سنة ١٩٤٦

علي ناصر الدين

مقدمة

الطبعة الثانية

حينما صدر هذا الكتاب – طبعة اولى – سنة ١٩٤٦ ، كان في جملة ما قيل فيه ، كلمة ، قالتها جريدة القبس القومية المناضلة في الشام : « انه الكتاب القومي الذي وضعه المجاهد الذي بذل وقته وتفكيره وعمره كله ، في سبيل فكرته الصادقة ، وفي غمار مبادئه القومية ؛ وفي اندفاع لا يعرف النكوص او الانثناء . »

وكلمة قالتها جريدة «الجمهور» المحترمة في بيروت : « كتاب يضعه مجاهد نبيل ، حرق شبابه في جميع ميادين النضال ، لتحرير بني قومه . انه الرغيف الروحي لكل عربي » و كلمات اخرى كثيرة من هذا الطراز ، ماهية ومعنى ، وان اختلفت نفساً ولفظاً ، وحرارة واسلوباً ، ما ارى من حاجة الى اثباتها هنا ، وان تكن منزلتها من نفسي ، منزلة الطيب من البرعم ، وحقيقة موقفي منها في نطاق الشكر وعرفان الجميل ، حقيقة الموقف الواقعي للشجرة المعطاء ، من الغيث ، اصابها ، وهو غير مُغيث . ولكنني احب

ان اشير الى كلمة نقد ، قالتها جريدة « الحضارة » القومية المناضلة المحترمة ، في الشام ، تتصل في الصميم من موضوع الكتـــاب ، وفكرة مؤلفه ، فقد اخذت علي ، يومئذ ، وبشيء من القسوة الخيّرة ، وانا على حد تعبيرها - من دعاة الوحدة العربية والمناضلين في سبيلها - انني ابذل من قلبي ومن تفكيري ، ما يُبدع كتابا في ما يقرب من مائتي صفحة ، مقتصراً على الكلام في الاتحاد ، دون الوحدة ، وادعو اليه ، واعمـل له ، وباسم القوميين العرب ، في الارض العربية قاطبة ؛ هؤلاء الذين ما يرضون عن الوحدة بديلا..

كان ذلك منذ عشر سنوات تقريباً ، وقد علقت يومها ، على كلمة « الحضارة » العزيزة ، بكلمة ، تلطفت « الحضارة » نفسهـا بنشرها ، اعترفت فيها ب «جريمة» الرضا بالاتحاد والعمل له ... وبررت رضاي هذا ، بمبررات من الواقع العربي العقلي والنفساني والاجتماعي ، في ذلك الحين ، قد تكون اقنعت بعض اصدقائي ورفقائي من القوميين المؤمنين الخلص - وما اشد حاجتنا الى ان يزداد هؤلاء عددا وصلابة وزهدا وحكمة وعملاً - بانني على صواب ؛ وقد يكون بقي آخرون منهم غير مقتنعين ، ولكنهم اغضوا كرماً ومحبة ...

والان ، وانا اعيد طبع هذا الكتاب « قضية العرب » وبعد انقضاء عشر سنوات على ذلك التاريخ ؛ كنت اود لو انني استطيع

القول : ها قد جاء وقت تحقيق الوحدة ؛ الوحدة الشاملة التامة ، التي نطمح اليها ، غاية ووسيلة . غاية في الناحية القومية السياسية ؛ ووسيلة في الناحية الحضارية الانسانية المحسنة العامة ؛ اما وانا ما استطيع بعد ، ان اقول هذا القول ، بعاطفتي وعقلي معاً ، فلم يبق من بد ، من تعريض نفسي سنة ١٩٥٥ الى ما عرضتها اليه سنة ١٩٤٦ من « تهمة » بالرضا بالاتحاد ، دون الوحدة ... الاتحاد كما افهمه واحدده في كتابي المتواضع هذا . على انني اعتقد ان « الدهر علم ابناءنا » فعلمنا ؛ نحن ايضاً ، ولم نهلك بعد ، ما لم نكن نعلم .. واعتقد ان عناصر « الاتهام بالجريمة » باتت اقل توفراً ، ان لم اقل انها دخلت في العدم ... واذن فقد يكون من المستحيل ان القى قومياً مؤمناً مخلصاً متبصراً ، بعد تجاربنا المؤلمة ، يفكر « باتهامي » بالمفهوم الذي كان لهذا الاتهام سنة ١٩٤٦ ... على انه قد يكون هناك مجال للاتهام بمفهوم آخر جديد ، زوّرته اهواء حكام العرب وشهواتهم الرخيصة ، ونفوسهم الضعيفة الصغيرة ، او معظم هؤلاء الحكام ، او بعضهم ، تاثراً بسياسة الاجانب الثعلبية والطغيانية ؛ الاستعمارية والافنائية ، على اختلاف مصادرها ووجوهها ، وتباين العوامل فيها والاغراض منها ، في الشرق وفي الغرب . وعلى الرغم من هذا كله ، فانني اجهر بدعوتي الى الاتحاد وبالعمل له ، اليوم ، اكثر مني بالامس ؛ في شكيمة ومراس . الاتحاد الذي يتناول الدول العربية كلها ، او معظمها الآن ، مهما يكن من

امر ، ومهما يفرض ذلك من ثمن ..

وبعد ، فقد حملني على ان اطبع كتابي هذا ، طبعة ثانية ، ان فريقا من العرب في ارجاء عربية متفرقة ، اندفعوا يسألون عنه ، وقد نفدت طبعته الاولى ؛ واني قرأت كتاب « العروبة اولا » للعالم الجليل المخلص ساطع الحصري ، وان « دار الحكمة » شجعتني على ذلك ، ويسرت لي اسبابه .

والذي ارجوه ؛ كل ما ارجوه ، في هذا الشأن ، هو ان يجيء صدور كتابي هذا ، في هذه الغمرة من التنابذ العربي المفتعل ، ومن الشك والحيرة ، وسياسة الطيش والنكاية ، قبساً من نور ، يساعد على قشع الغمامة ، وهمسة من دعوة ، تساعد في ردنا الى طبيعتنا العربية الاصيلة وتنكبنا الضلالة . ذلك حسبي .

بيروت ، تموز ، ١٩٥٥

علي ناصر الدين

الرسالة القومية

•

ان الرسالة القومية الحق – وهي جزء من الرسالة الانسانية الشاملة – هي خير رسالة يمكن ان يؤديها عربي اليوم ؛ واسمى رسالة وانفع رسالة ، ليس للعرب وحدهم بل للناس كافة .

ويزعم الشعوبيون ان القوميين العرب ليست لهم رسالة محددة ، ولا هم يعرفون بدقة ، ماذا يريدون ؛ كما يزعم هولاء الشعوبيين ايضاً ، ان كلمة القومي العربي ، ليس لها عمليا اي مدلول ، لسبب بسيط جداً ، وهو ان ليس هناك قومية عربية ..! يعنون بذلك ان الاقطار التي تؤلف الوطن العربي ، لها قوميات متفرقة مختلفة ، عراقية ومصرية وسورية ولبنانية و ... الخ ... وهذا خطأ شنيع بالنظر للواقع من جهة ، وبالنظر للمفهوم العلمي لكلمة « قومية » من جهة اخرى ، كما سندلل على ذلك في صفحات آتية .

اما المفهوم السياسي الاصطلاحي ، والايماني ، لكلمة قومي عربي ، فنبسطه في الجواب عن السوآل الاول في هذا الكتاب . ونحدد

الرسالة القومية، ومـــا يريده القوميون العرب بدقة تامة ، في الجواب عن السوآل الثاني وذلك في ما يلي :

س - ١ - هل انت قومي وما معنى ان تكون قومياً؟

ج - - نعم انا قومي ، ومعنى ذلـــك ، انني عربي مؤمن بعبقرية امتي وبحقها في الحيـاة ، حرة ، مستقلة ، موحـدة . ومؤمن بمستقبلها العظيم ، وبانني واخواني القوميين العرب ، بناة هذا المستقبل، واننا رسل البعث القومي العربي، والعظمة القومية ، ورسل الحق والقوة ، ورسل الخير الى العرب ، ثم الى الناس كافة .

ومعناه ، انني اعتبر كل عربي ، مهما يكن منشوه، ومهما تكن عقيدته الدينية ، اخاً لي ، منتمياً لقومي . وانني افهم المصلحة العـامة واحترمها واعمل لهـــا ، وانني اقدس الحق والبطولة والتضحيـة . واقـدس العمل والواجب ، واحب النظام واتقيد به . وانني حارس العروبة ، احميهـــا باخلاقي واقوالي واعمالي ودمي . فلا اقول الا الصدق ، ولا اعمل الا للحق، ولا اخاف الا الله. وانشر هذا في اخواني العرب اجمعين.

س - ٢ - ما الذي يريده القوميون العرب وما هي رسالتهم ؟

ج - - رسالة القوميين العرب ، هي رسالة القوه ، والحق ،

والخير الى العرب ، ثم الى الناس كافة . ويريد القوميون العرب ، من وراء ذلك ، ان يخلقوا من الناشئة العربية ، ذكورا واناثاً ، جيلا قويا عادلا خيراً سليما عاملا ـ تجيء على غراره اجيالنا المقبلة ـ ، متماثل الشعور ، موحد الاهداف ، صحيح التفكير ، عالي الهمة ، متين الاخلاق ، بعيد المطامح ، شديد الكبرياء القومية ، يحترم نفسه ويقوم بواجبه . ويعمل لانشاء كيان قومي عربي موحد قوي . اي دولة عربية اتحادية واحدة ، تستند الى القومية الخالصة ، وتحارب الجهل ، والفقر ، والمرض ، والظلم ، وكل عصبية ، الا العصبية القومية . وتفصل الدين عن السياسة (١) . وتحرم على رجال الدين الاشتغال بها . وتعلم العربي اينما كان ، ان يتعصب بعنف لامرين : قوميته والحق ؛ وتشترك في ابداع حضارة قومية انسانية رفيعة خيرة .

---

(١) نعني بذلك ان لا تجعل من الدين اداة استغلال لاغراض شخصية او مآرب سياسية باطلة .

العربي والأقطار العربية

•

انه لمن سخرية الزمان المؤلمة، ان يعوز العرب في هذه الفترة القائمة بين عصور الانحطاط ، وبين عصر البعث والنهضة ، العلم ب « من هو العربي » ! وما هي الاقطار العربية التي تؤلف مجتمعة وطنه الكبير ! وهل ان هذه الملايين من البشر التي تملك الارض العربية من حدود ايران في الشرق الى المحيط الاطلسي في الغرب ، ومن شواطيء البحر الابيض وهضاب الاناضول في الشمال الى المحيط الهندي ومنابع النيل والصحراء الكبرى في الجنوب ، وتتكلم اللغة العربية ، وتحيا عروبيا ،فكراً وعقلا وروحاً ـ وان فات قسما منها معرفة ذلك معرفة فلسفية ـ هل ان هذه الملايين من البشر تؤلف امة عربية واحدة ، ام انها امم مختلفة ، متباينة الميول والنزعات والعقائد والاداب والعادات !! واننا نجيب في هذا الفصل عن الاسئلة بهذا الصدد ، فنضع هذه الامور مواضعها من نطاق الحقيقة ، في غير تعمل ولا اصطناع .

س – ٣ – من هو العربي ؟

ج – – العربي هو كل من كانت لغته اللغة العربية (١) .

س – ٤ – إذن فالذين يتكلمون العربية من انكليز وفرنسيس والمان واميركان واتراك وفرس وغيرهم ... كلهم عرب في نظركم ؟

ج – – كلا . فان هؤلاء وان تكلموا العربية ، فاللغة العربية ليست لغتهم ، وحكمهم حكم العرب ، الذين يتكلمون الفرنسية والانكليزية والالمانية والتركية والفارسية ، وهم ليسوا فرنسيين ولا انكليزاً ولا المانيين ولا اتراكاً ولا فرسا .

س – ٥ – ما هي الاقطار العربية ؟

ج – – الاقطار العربية هي الشام « سورية ، لبنان ، فلسطين ، شرق الاردن » . والعراق ومعه الكويت ، والمحمرة ، والحجاز ونجد وملحقاتهما : « المملكة العربية السعودية » ، واليمن بما فيها عدن وحضرموت ، وكل ما يسمونه المحميات . والبحرين وقطر ومسقط وعُمان ، هذا في

(١) كان المرحوم الشهيد عبد الوهاب الانكليزي يقول : كل من شاء ان يكون عربياً فهو عربي ... وقد حدثني احد كبار رجال النهضة العربية المؤمنين المصلح الكبير عارف النكدي انه سمع هذه العبارة من الشهيد المرحوم الامير عارف الشهابي .

آسية . ومصر والسودان وليبية ، وتونس والجزائر ومراكش في افريقية .

س — ٦ – أتكون هـــذه الاقطار كلها عربية . وتؤلف وطناً واحداً هو وطننا نحن العرب ؟

ج — — نعم . ان هذه الاقطار كلها عربية ، تؤلف وطناً واحداً هو الوطن العربي ، وطننا الكبير جميعاً .

س - ٧ — ولكن اهل قطرما ، من هذه الاقطار ، ألا يعتبرون قطرهم وطناً لهم ؟ ولنأخذ اليمن مثلا او بالحري مصر ، ألا نقول لابن مصر ، مصري ، أليست مصر وطن المصريين؟

ج — — بلى . من غير شك . ولكن لِما ان المصريين عرب (١) كاليمنيين والعراقيين والشاميين ، اهل « الشام » (سورية لبنان ، فلسطين ، شرق الاردن) وغيرهم من اهل الاقطار العربية ، فيكون قولنا « مصري » إنما هو تعريف جغرافي موضعي ضيق خاص ، اي انـــه عربي يقطن مصر . كما نقول فلسطيني او لبناني او الخ . . . وما نسبة مصر ، الى وطننا العربي الكبير ، إلا كنسبة بريتانيا مثلا ، ونورمنديا وبيكارديا الفرنسيات الى الوطن الفرنسي الكبير ، او

---

(١) حديث عروبة المصريين هذا ، تجده في كتب ابن خلدون . وفي صبح الاعشى للقلقشندي . وابن اياس ، والجبرتي . والدكتور حسن كمال ، من المعاصرين ، في كتابه « تاريخ السودان العام »

كنسبة بافاريا مثلا ، او بروسية ، او النمسا الالمانيات ، الى الوطن الالماني الكبير . فالمصري عربي كما ان النورماندي او البيكاردي او البريتاني فرنسي . وكما ان البافاري او البروسي او النمساوي الماني : وهكذا نقول في بقية العرب ، كالعراقي نسبة الى العراق والسوري (١)

---

(١) ان البقعة العربية المعروفة بـ « سورية » لم يذكرها اجدادنا الا باسم الشام او الديار الشامية : « سورية ، لبنان ، فلسطين ، شرق الاردن » في مخلفاتهم كلها ، في انتاجهم الادبي والعلمي ، وفي الاسفار التي تحمل اخبارهم وشؤونهم الحربية والسياسية ، الداخلية منها والدولية . ونرى ان « الجزويت » انفسهم يسمون هذه البقعة : بر الشام « المنجد ، ص ٢٣٤ ، الطبعة التاسعة ، سنة ١٩٣٧ » والشام اسم للقطر كله ، كما هو اسم لدمشق المدينة وحدها . وذلك مثل « مصر » فهو اسم للقطر كله ، كما هو اسم للقاهرة ، المدينة وحدها .

وعن « الضحى » الجزء السابع ؛ السنة السادسة :

« الشام » هو الاسم الذي يطلقه العرب ، على هـذا القطر العربي ، الذي يسميه الغربيون « سورية » . جاء في دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني ، والبستاني لبناني صميم ، ومن لبنان القديم ، في مادة « سورية » ما يأتي :

يحد سورية شمالا ، آسية الصغرى ، وجنوباً الثغر الفاصل بينها وبين مصر ، وشرقاً الفرات والبادية ، وغرباً البحر المتوسط .

اقسامها — تنقسم لهذا العهد الى ثـلاث ولايات هن : ولايات حلب ، وسورية ، وبيروت . ومتصرفيتين هما : لبنان ، والقدس الشريف .

مدنها — اهم المدائن السورية : حلب واسكندرونة ، وانطاكية ، واللاذقية وحماه ، وحمص ، وطرابلس ، ودمشق ؛ وبيروت ، وصيـدا ، وصور ، وعكا ، وحيفا ، ويافا ، والقدس ، ونابلس ؛ وصفد ، وطبرية ، والناصرة ، والعريش .

وجاء في الجزء نفسه مادة « الشام » — (ويراد بالشام عند العرب نفس



نسبة الى سورية ، واليمني نسبة الى اليمن ، والحجازي نسبة الى الحجاز ، وهكذا ... وهؤلاء كلهم عرب ، نسبوا نسبة موضعية ضيقة ، الى البقاع التي يقطنونها . فالقومية العربية تجمعهم ، والوطن العربي كله وطنهم .

س - ٨ - ان هذه الاقطار ، لغتها العربية فعلاً ، ولكن اهلها ليسوا كلهم من سلالة واحدة عربية . ولا هم ، لهم دولة واحدة ، فكيف يمكن ان نعتبرهم كلهم ، ابناء امة واحدة ووطن واحد ؟

ج - - ان هذا السؤال كان ضرورياً جداً ، لان في الجواب عنه خيراً كثيرا للعرب اجمعين ، ومفتاحاً في ايدي القوميين الحقيقيين(١) ، ومن يؤمن ايمانهم ، يفتحون به للحائرين من العرب ، وللشعوبيين منهم ، ابواب المعرفة بالامة وبالقومية ، استناداً الى العلم والتاريخ ، والى فلسفة المجتمع . والجواب عنه هو هذا :

ما يراد بسورية عند الافرنج) . وجاء في معجم البلدان ليـاقوت الحموي : « الشام » تذكر وتؤنث ، وحدهـا من الفرات الى العريش المتاخم للديار المصرية ، وعرضها من جبل طي من نحو القبلة ، الى بحر الروم . وجاء فيه عن سورية : (واما سورية فموضع بالشام بين خناصرة وسلمية . والعامة تسميه « سورية » بالتشديد .)

---

(١) القومي الحقيقي نعني به الانسان الذي عرفناه « ايمانيا » في جوابنا عن السؤال الاول صفحة ١٣ من هذا الكتاب .

الامة

ان الامة غير الدولة . والمجموع القومي غير المجموع السلالي . وها نحن اولاء نحدد علمياً ما هي الامة الواحدة التامة :

ان الامة الواحدة التامة ، هي الجماعة من الناس التي تتوفر لها وحدة **اللغة والتاريخ والادب ، والذكريات والتقاليد، والمنافع والمطامح** - وقالوا : ووحدة الارض (١) - والشعور المشترك بالمفارح والمآسي ، وبعز الظفر ، وذل الانخذال ، مما يميز هذه الامة عن تلك ، ويجعل منها امة واحدة تامة ، **ليس بينها وبين غيرها من الامم الا صلة الانسان بالانسان ، وما هو مشترك بين الناس كافة** . وليست وحدة السلالة شرطاً في تكوين الامة الواحدة ، ولا قيام الدولة الواحدة ، بشرط لوجود هذه الامة .

نقص في الوعي

ولا ننكر ان وجود الامة في مثل هذه الحال ، اي محرومة من دولة تجمع شملها ، وتوحد ارضها ، معناه انها ليست واعية

(١) يمكننا ان نلاحظ انه قد تطغى امة على امة اخرى ، وتسلبها ارضها فتصبح مشتتة مشردة ، ومع ذلك تبقى ، اذا كانت ذات تاريخ مجيد ، وذات حيوية ومناعة ، امة واحدة تامة لا تضمحل؛ وعليه فلا تكون وحدة الارض، شرطاً لوحدة الامة . وهي شرط لوحدة الدولة : مثال ذلك الامة البولونية والامة الارمنية .

تماماً . وكثيراً ما يقع ان امة واحدة ، تكون مبعثرة ومجزأة ، ولها دويلات متعددة ، كما كانت الحال في ايطالية ، مثلا ، وفي المانية وفي فرنسة وغيرهن ، وليس ذلك ، سوى نتيجة لضعف الشعور القومي العام ، ونتيجة **للوطنية المحلية ، الضيقة** ، المسببة عن مطامع ذاتية خاصة ، عند بعض الاقطاعيين ، وبعض اصحاب الوجاهة والنفوذ ورجال الحكم ، وعن الجهل والتضعضع ، وقصر النظر وركود الطموح . وعليه فان اهل الاقطار العربية التي تؤلف الوطن العربي الكبير ، يؤلفون بمجموعهم - رغم تبعثرهم وتعدد دويلاتهم - امة عربية واحدة ، بفعل العوامل التاريخية والادبية واللغوية والاجتماعية ، وحكم الحالات الباقية التي ذكرنا انها تؤلف الامة الواحدة التامة ؛ والمتوفرة لهم جميعاً . ولا نقول بحكم الدم الواحد ، وان توفر هذا لهم اكثر من توفره لغيرهم من الامم المتمدنة . ولكي نزيد الامر وضوحاً نفصل ما ورد في هذا الجواب مجملا ، فنقول :

وحدة اللغة

ان اهل الاقطار العربية التي ذكرناها ، وقلنا انها تؤلف الوطن العربي ، تتمتع كلها **بوحدة اللغة** ، فان لغة هذه الاقطار كلها ، اللغة العربية ، فاذا قيل مثلاً : ان ابن الشام ، لا يفهم لغة ابن العراق ، وان هذا ، لا يفهم لغة ابن مصر ، الذي لا يفهم لغة ابن الجزيرة ،

وان هذا لا يفهم لغة ابن مراكش او تونس او الجزائر ، قلنا ان هذا الاعتراض غير وجيه ، ولا هو في محله ، لانه يتناول اللغة العامية التي تستعملها اوساط معينة، عدا ما فيه من غلو ينكره الواقع ، والمقصود بوحدة اللغة ، اللغة الفصحى، لغة الادب ،وهذه اللغة هي لغة اهل تلك الاقطار جميعا من مراكش الى البصرة ، ومن اعالي الاناضول الى منابيع النيل والصحراء الكبرى .

يخطب ابن بنونة او ابن الناصري او ابن الثعالبي وغيرهم من قادة الحركة القومية العربية اليوم في المغرب العربي ، فتموج لخطابه ملايين العرب في الشرق وفي الغرب . ويكتب عبد الوهاب عزام او عباس محمود العقاد او احمد الزيات او محمد حسين هيكل او ابرهيم عبد القادر المازني او زكي مبارك ، في مصر ، فصلا او مقالا ، فتهتز له نفوس ملايين العرب في الشرق وفي الغرب . ويرسل بشارة عبدالله الخوري في لبنان ،او عمر ابو ريشة او بدوي الجبل في « الشام » ، ورضا الشبيبي او علي الشرقي او احمد الصافي ، او مهدي الجواهري في العراق ، قصيدة فتمشي لها القلوب في صدور ملايين العرب في الشرق وفي الغرب، وهكذا ... فضلا عن ان هذه اللغة العامية نفسها ، لا تختلف الا في القليل من المفردات ، وانها بفضل المواصلات الحديثة ، التي سهلت لاهل كل قطر ، الاختلاط باهل القطر الاخر ، اصبحت تكاد تكون مفهومة من الجميع . واما اللهجة ، فلا نخال احدآ

مهما يكن من سوء نيته ، وقـلة معرفته ، يحتج بها ، فان بين محلة واخرى من مدينة واحدة ، شيئا من الفرق في اللهجة ، ثم ان اللغة العامية في كل قطر ، هي الى الزوال اقرب منها الى البقاء ، بفضل الرقي الاجتماعي المطرد ، الذي يتناول مختلف الاوساط، كما نشاهد ذلك باعيننا في اوساط الشام . ويطرد هذا الرقي ، على درجات متفاوتة في كل قطر . ويجب ان لا ننسى ، ان في كل وطن من اوطان البشر ، مثل ما في الوطن العربي ، ففي فرنسة مثلا ، كما يعرف الذين زاروا فرنسة او قرأوا عنها ، فريق من الفرنسيين الذين يقطنون بعيداً عن المدن ، يكادون يحتاجون الى تراجمة بينهم وبين سكان المدن، ولا سيما في باريس. ولا يعني هذا انهم يتكلمون لغة مستقلة عن اللغة الفرنسية تماما ، ولكنها على كل حال ليست اللغة الفرنسية الفصحى ، ومع ذلك لم يقم من بين الفرنسيين ، من يقول ان في فرنسة امما متعددة . هذا من ناحية اللغة والادب .

الناحية التاريخية

اما من ناحية التاريخ ، فان احداً من اهل هذه الاقطار ، يعرف تاريخ بلاده ، لا يرى ما يفصل قطراً منهـا عن الاخر تاريخياً ، منذ اكثر من ثلاثة عشر قرنا (١) ، فتاريخها كلها ،

(١) هذا، تقيداً بالحد الادنى

لا تنفك حوادثه آخذة بعضها برقاب البعض الآخر ، متصلة اتصال حلقات السلسلة الواحدة ، مما يحتم ان تكون ذكرياتهم، ذكريات واحدة ، سواء ما يدعو منها الى الفرح ام الى الحزن ، والى الامل ام الى الالم ، والى الرضى ام الى الغضب ، والى الحنين ام الى الحقد ، والى الاعتزاز والفخر ام الى غير ذلك من احساسات .

العادات والتقاليد

واما من ناحية **العادات والتقاليد** ، فان هذه التقاليد والعادات ، تكاد تكون واحدة في جوهرها حتى الان ، رغم ما منيت به هذه الاقطار ، منذ مئات السنين ، من تفكك ، ومن عزلة ، كل واحد عن الاخر ، ورغم ما خضع له كل واحد منها ، منفصلا عن الاخر سياسياً ، من الوان حكم الغريب الغاصب ، بعد ان غُلبت الامة العربية على امرها ، وذهب سلطانها . وليس الاختلاف الذي نراه بين قطر وقطر من الاقطار العربية ، في العادات والتقاليد ، سوى اختلاف سطحي ، يتناول ظواهر الامور دون بواطنها ، وقشورها دون لبابها ، ويتصل اكثر ما يتصل ، بطرق المعيشة وطرز اللباس وبعض آداب المجالسة . وهو ناتج عن اختلاف في طرق التعليم والتربية، و«... **طرق التجهيل**» التي اكثر من يضعها منذ زمن طويل ، ويتصرف بها ، الاجانب الغاصبون ، من مستعمرين ورسل استعمار ، ومبشرين . وعن ان

نصيب هذا القطر، من المدنية الحديثة، فوق نصيب ذاك القطر، او ان قسط هذا القطر، من العلم، دون قسط ذلك القطر، وهكذا...

وما عدا ذلك فليس من اختلاف في التقاليد والعادات، ولا سيا ما يتصل منها بقراءة النفس، واصل الطبيعة العربية، ونسوق على ذلك امثلة معينة، يقيس عليها غيرها من يشاء.

اولا – قضية الضيافة، التي يتساوى النظر اليها عند العرب جميعهم، في كل قطر من اقطارهم من دون استثناء.

ثانيا – قضية العرض، الذي يقدسونه جميعاً في كل قطر من اقطارهم من دون استثناء.

ثالثاً – قضية تفاخرهم بالشجاعة، والعفة والكرم والنجدة، وحماية الجار، والوفاء وما الى ذلك، في كل قطر من اقطارهم دون استثناء.

رابعاً – قضية اخذهم بمشيئة كبرائهم، وتصنيفهم هؤلاء الكبراء، في كل قطر من اقطارهم من دون استثناء (١).

خامساً – الاحساس الوجداني الاصيل، يتصل بالدنيا والآخرة...

الميول والرغبات والامال

اما الميول والرغبات والامال بشأن مصيرهم السياسي، وغيره فهي واحدة في كل قطر من اقطارهم من دون استثناء (٢). خذ لك مثلاً الحادثة التالية: كنت عضواً من اعضاء المؤتمر الاسلامي العالمي، الذي عقد في القدس سنة ١٩٣٢، والذي ظهرت

---

(١) الكلام على الكيفية وليس على الكمية.

(٢) هذا من حيث النوع وقد تتفاوت الدرجات.

فيه عفواً العصبية العربية ، بقوة ملحوظة ، وترتب على ظهورها بتلك القوة ، امور ، ليس ذكرها من شأن هذا الكتاب ، وقد رأى ممثلو العرب في اجتماعهم هـذا ، فرصة ، ابوا الا ينتهزوها ، لعقد مؤتمر عربي ، بعد ان يفرغ المؤتمر الاسلامي من اعماله ، وقد انتهزوا هذه الفرصة فعلا ، وفوضوا الى لجنة منهم – كنت احد اعضائها – وضع لائحة تحضيرية لمؤتمر عربي . وفي احد اجتماعات اللجنة ، تناقش اعضاؤها في مادة من مواد اللائحة ملخصها : (ان البلاد العربية التي سلخت عن السلطنة العثمانية بعد الحرب العالمية الكبرى وحدة لا تتجزأ) فاعترضت على هـذا التحديد ، وشاركني في الاعتراض ، نفر من اعضاء اللجنة ، طالبين حذف هـذه الفقرة : (التي سلخت عن السلطنة العثمانية بعد الحرب العالمية الكبرى) على اعتبار ان هناك بلاداً عربية غير هذه التي سلخت عـن السلطنة العثمانية ، (بعد الحرب العالمية الكبرى) (١) . غير ان الاكثرية ، ارتأت ان تبقى المادة كما هي ، فبقيت . وفي اليوم الثاني لاجتماع اللجنـة الاخير ، عقد المؤتمر العربي ، وكان يضم ما لا يقل عن ستين الى سبعين شاباً من شبان العرب ، في آسية وافريقية . ووضعنا بين يديه اللائحة التحضيرية ، فقرأها احد امناء المؤتمر ، لكي يبحثها المؤتمرون بنداً بنداً . فما ان قرئت هذه العبارة . « ان البلاد العربية التي سلخت عن السلطنة العثمانية بعد الحرب الكبرى وحدة لا تتجزأ) حتى وثب الى وسط المؤتمرين ، بخفة النمور ، وفي لحظة واحدة ،

(١) كان مرد ذلك كما ثبت لي رغبة « بعضهم » في مراعاة خاطر فرنسة في المغرب العربي . وقد كوفيء هذا « البعض » عـلى موقفهم . رغم ان المؤتمر خذلهم ..

ثلاثة شبان من اعضاء المؤتمر ، كأنما كان الواحد منهم مشدوداً الى الآخر ، لا يستطيع الانفكاك عنه ، وصاحوا بلسان واحد : ماذا ؟ فاشرأبت الاعناق الى المفاجئين ، وكاد المؤتمرون يلتهمونهم بعيونهم التهاماً .

ودهش الرئيس (١) لحظة، ثم انبسطت اسرته ، واخذ يسكن من فورتهم في لطف، وسرى التساؤل بين المؤتمرين في لهفة، بسرعة البرق : من هذا ؟ ماذا يريدون ؟ فاذا هم من شبان العرب في افريقية الشمالية . اذكر منهم حتى الان ، محمد المكي الناصري . اما ماذا يريدون ، فقد تولى احدهم بسط ما يريدون ، قال :

ان بلادنا ليست من البلدان التي سلخت عن السلطنة العثمانية بعد الحرب الكبرى ، ومع ذلك فهي بلاد عربية ، فالى من تتركونها ؟ ونحن عرب مثلكم ، فلمن تريدون ان تتخلوا عنا ؟ ومن منكم يحمل التبعة في تسجيل هذا الامر ، في مؤتمر قومي عربي ، امام ستين مليونا من العرب ، وأمام الاجيال المقبلة ، وأمام العالم بأسره ؟

ومن البديهي القول ، ان الفقرة المذكورة ، بعد هذا الاعتراض المؤثر ، المستند الى الحقيقة والواقع ، طارت . وان المؤتمر ، استقبل الامر بالهتاف لهؤلاء الشبان وللامة العربية ،

---

(١) عقد المؤتمر العربي في دار الاستاذ عوني عبد الهادي في القدس وترأسه المرحوم السيد رشيد رضا .

والبلاد العربية قاطبة في آسية، وافريقية . حتى ان بعض المؤتمرين، لم يملك نفسه من بكاء الفرح والاعتزاز .

اليس في هذه الامور التي بيناها ، ما يثبت اثباتاً قاطعاً ، لا مرية فيه ، ان اهل الاقطار العربية التي مر ذكرها ، في آسية وافريقية ، انما يؤلفون امة عربية واحدة ، رغم تبعثرهم وتعدد دويلاتهم !!!

الدولة الواحدة

اما العوامل التي يجب ان تتوفر لتأليف دولة واحدة ، لأمة واحدة ، فاذا قلنا انها غير متوفرة كلها حتى الساعة ، للامة العربية ، فيكون قولنا صحيحاً ، والا لكانت تألفت هذه الدولة (١) .

ومن اجل هذا وغيره ، يعمل العاملون المؤمنون من العرب ، في كل مكان .

س — ٩ — لقد عرفنا ما هي الامة الواحدة التامة ، وآمنا بعد تحديدها ، وبعد تبيان حال اهل الاقطار العربية ، بان هولاء ، انما يؤلفون بمجموعهم ، أمة واحدة تامة ، فما هي العوامل التي

---

(١) نشر هذا الكتاب — طبعة اولى — منذ عشر سنوات تقريبا ، تتالى خلالها على الامة العربية في المشرق والمغرب ، من الاحداث والنكبات — ولا سيا نكبتها في فلسطين — ما كان باعثا قويا جدا على نهج ما يوفر هذه العوامل التي نرجو ان تستكمل في القريب .

يجب ان تتوفر لتأليف دولة واحدة ، لأمة واحدة ؟

ج ـ ان هذه العوامل ، تكثر وتقل ، وتختلف وتتفق ، بالنظر الى وضع كل امة . على اننا والمراد في بحثنا هذا ، امتنا العربية ، نستطيع ان نحصر هذه العوامل مبدئياً فيما يلي :

اولا ـ وقبل كل شيء : الوعي القومي .

ثانياً ـ توفر القادة الاذكياء المخلصين ، اصحاب الكبرياء القومية ، المنزهين عن الدنايا .

ثالثاً ـ تبني احدى الدول العربية القائمة ، فكرة انشاء كيان قومي عربي موحد ، اي دولة اتحادية واحدة ، واعتبارها نفسها ـ من هذه الجهة ـ من العرب ، كما اعتبرت بروسية ، مثلا ، نفسها من الالمان ، فوحدت المانية . وبديهي ان تقوم الدعاية في مثل هذه الحال ـ والدعاية المنظمة المخلصة سلاح قوي جداً ـ للدولة وليس للحكومة . وللامة وليس للاشخاص ، ومتى وجدت هذه الدولة فعلاً ـ ولعلها موجودة (١) ـ تحتم عليها التوسل لبلوغ هذا الغرض بوسائل سنأتي على ذكرها في المكان المناسب من هذا الكتاب .

(١) كان القوميون العرب يعتقدون ان العراق سيكون « بروسيا » العرب . ذلك في عهدي الشهيدين فيصل الكبير وغازي . اما اليوم ـ وان كنا ما نزال نضع العراق في مقام الصدارة من العروبة ونرجيه ، ونعتقد ان كل اتحاد عربي لا يكون العراق من اركانه ، انما يكون اتحادا صوريا ـ فاننا نتطلع ايضاً الى الشام ، منبثق الفكرة القومية العربية ، بعد ان غدا في الشام دولة . وما اعظم وانفع ان يتسابق القطران متفقين في صدق وجد وحسن نية واخلاص ، في هذا السبيل . فان قطرا عربياً واحدا عندئذ ، لن يحجم ، كما نظن ، عن الانضمام الى هذا الاتحاد .

الامة العربية وبقية الامم

•

اشرنا في مطلع الصفحة الـ ١٣ من هذا الكتاب الى بعض مزاعم الشعوبيين في الاقطار العربية ، ومن هذه المزاعم ان اهل ديار الشام أي السوريين واللبنانيين - كما يقال اليوم - وكذلك اهل مصر والمغرب العربي ، ليسوا عربا ؛ وسنرى ان هذه المزاعم كلها ، وفي مقدمتها هذا الزعم ليست صحيحة . وانها كلها خاطئة ، ولعل مرد ذلك الى سطحية النظرة ، او الى نظرة الهوى والغرض .

س - ١٠ - لماذا يزعم بعض الناس ان السوريين واللبنانيين - كما يقال اليوم - والمصريين واهل افريقية الشمالية ليسوا عربا ، وهل زعمهم هذا صحيح ؟

ج - كلا . انه غير صحيح . والذين يزعمون ، انما يفعلونه لتفكيرهم غير الجدي ، وجهلهم ، او تجاهلهم العوامل والحالات ، التي تكوّن الامة ، وتوحّد الناس في القومية ، او ذهابا مع مآرب ذاتيه ، واغراض شخصية ، تعمي بصائرهم ، وتوقعهم

في الضلال والتناقض ، واليك البيان .

ان الذين يزعمون هذا الزعم البغيض ، يستندون استناداً سطحيا لا قيمة علمية له ، الى ان (سورية) اي الشام (١) سكنها فيما مضى من التاريخ البعيد ، شعوب (٢) كلدانية وعمورية ، تتوزع الى كنعانية واشورية وارامية وفينيقية الخ ... وعليه فيجب ان يكون اهلها ، كلدانيين وعموريين وكنعانيين واشوريين وارامين وفينيقيين ... وبالتالي سوريين (٣) ـ نسبة الى الارض ـ غير عرب !!! .

(١) ديار الشام ، او الديار الشامية ، او بر الشام ، او الشام باختصار ؛ نرجو ان يفهم منها القارىء ؛ (سورية ، لبنان ؛ فلسطين ، شرق الاردن) كما هو الواقع ، من دون شرح بعد الآن

(٢) ان اطلاق كلمة « شعوب » على هؤلاء الناس فيه توسع لا مبرر له ينكره العلم . والصحيح انها قبائل يتفرع منها عمارات وبطون و .. الخ ..

(٣) ان الاب المحترم (لامنس اليسوعي) يسمي معاوية الكبير ، الخليفة والملك العربي القرشي ، ومؤسس الاسرة الاموية المالكة (الخليفة السوري !! .) فهل سمع احد في التاريخ بمثل هذا !! او ليس هذا وحده كافياً للتدليل على نية معظم هؤلاء المستشرقين المؤرخين ؛ وقيمة بعض نظرياتهم وآرائهم الفنية ؟ واذكر ان اسم كتابه التاريخي هذا (تاريخ سورية ولبنان) ان هذا التاريخ وحده ، الذي يسمي مؤسس الدولة العربية العنصرية الوحيدة ، بين الدول العربية (الخليفة السوري !!) انه وحده ، كاف لحمل من يشك في عروبة السوريين واللبنانيين ، اليوم ، على الاعتقاد بأنهم عرب . فالذي يجرؤ على تسمية معاوية بن ابي سفيان العربي القرشي الاموي المكي ، (سوريا) ، لان عاصمة ملكه كانت دمشق ، ليوهم الناس ان السوريين غير عرب . يثبت عكس ما يريد . ويدعو هذا الى الخاطر الآية الكريمة :

(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره) ..

وهذا خطـــأ علمي تاريخي واجتماعي ، قبيح جداً ، ان نحن اخذنا به، بعد الذي ثبت لنا وبيناه من العوامل ، لتكوين الامة الواحدة التامة ، نكون اغبياء او مضللين ، ولن يبقى في امم الارض اليوم ، امة واحدة يصح ان تسمى امة. ثم يصبح اهل كل قطر من الاقطار العربية ، امـــة قائمة بنفسها ، ذات قـومية (ارضية) جغرافية خاصة بها ، ولـكنها تكون امـة مزيفة . ولن يبقى في الدنيا امة عربية ، او قومية عربية ـ وهذا ما يرمي اليه الاعاجم المستعمرون ، ودعاة السوء المأجورون ، من خبثاء عابثين وسذج مخدوعين ـ اذ انه ليس هناك ارض بعينها ، اسمها عرب ، لنقول (عربي) نسبة الى هـذه الارض « ١ » والقومية عند هـؤلاء يظهر انها « ارضية » والامة عندهم كذلك ارضية ؛ انهم يرمون الى تقطيع اوصال البلاد العربية، وتفكيك اجزائها ، وتمزيق شمل ابنائها ، وتصويرهم غرباء بعضهم عن البعض الاخر ، ثم اعداء بعضهم للبعض الاخر ، وهكـــذا يسهل على الدول الاستعمارية ، القضاء على النهضة العربية التي تزعجهم ، وتهدد سلطانهم ، على الوطن العربي بالانهيـــار ، ويتمكنون من تحطيم العرب واستعمار بلادهم الى الابد . ونحن على يقين ان هذا لن يتم ابداً ، ما دام في الدنيا عربي اصيل يؤمن بامته وبعناصر الحيوية والبعث فيها ؛ ويعمل لاتساق وجودها ماضياً وحاضراً ومستقبلا في نطاق الدوران الزماني الذي لا يزول ولا ينقطع .

---

(١) لقد سمى مؤرخو الفرنجة (اليمن) العربية السعيدة.
« L'arabie Heureuse »

وهذه الامم ؟!.

وليست المسألة مسألة قول وهوى ، كلا ، بل هي مسألة علم وعقل ، وتاريخ ، ومصلحة عامة عليا . ونحن حينما نقرر ، ان اهل الاقطار العربية ، كلهم عرب قومياً ، (١) ان لم يكن عنصرياً ، قوميتهم القومية العربية ؛ (٢) وانهم اغصان لدوحة واحدة ، هي الامة العربية ، نستند ، عدا الاحساس والايمان ، الى ما مر بك من تحديد لمعنى كلمة (الامة) ؛ هذا التحديد الذي يقره علماء التاريخ والاجتماع ، ويدل على صدق قولنا وصوابه . وفوق ذلك ، بماذا يجيب هؤلاء الشعوبيين ، من خادعين ومخدوعين ، وهم من العرب ، سواء أكانوا مصريين ام يمنيين ام عراقيين ، ام شاميين ، ام الخ.. – نسبة الى الارض – اذا نحن سألناهم مثلا ، عن الامم التالي ذكرها : الامة الانكليزية ، الامة الايطالية ، الامة الالمانية ، الامة الفرنسية ، والامة الاميركية « ٣ » وقومياتهن . أيقولون ان هناك امة بافارية وامة بروسية ، وقومية بافارية وقومية بروسية ، غير الامة الالمانية والقومية الالمانية . وان هناك امة بيكاردية ، وقومية بيكاردية ، وامة بريتانية ، وقومية بريتانية ، غير الامة

(١) نقول قومياً ؛ وليس سلالياً او عنصريا .

(٢) سيأتيك تحديد القومية جواباً عن سؤال : ما هي القومية ، في آخر هذا الفصل .

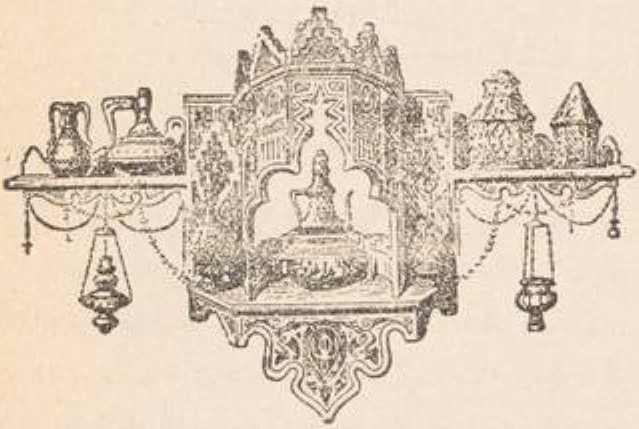
(٣) نعني ابناء الولايات المتحدة الاميركية خاصة .

الفرنسية والقومية الفرنسية ، وهكذا على هذا السياق ، ام ماذا ؟ وقد كانت هذه الامم جميعها ، شأنها ، شأن الامة العربية اليوم ، مجزأة متفسخة، متعددة الدول، وكان اهلوها، شأنهم، شأننا نحن العرب اليوم ، وها هم اولاء الان ، أليسوا في ايطالية امة واحدة ووطناً واحدا ، ودولة واحدة ! ومثلها في انكلترة ،وفي اميركة وفي فرنسة . ذلك انه ما كاد الشعور القومي ، يستيقظ عندهم ويصبح **وعياً قومياً** في نفوسهم ، ويتوفر فيهم القادة الاكفاء المخلصون ، حتى اضمحل في نفوسهم الشعور الوطني المحلي، او الاقليمي الضيق ، واصبحوا سياسيا ودوليا ، كما كانوا في الواقع تاريخيا وادبيا واجتماعيا، وطنا واحدا وامة واحدة ؛ فما الذي يمنعنا نحن العرب — ونحن اكثر اشتباك وشائج ومصالح منهم — ان يفضي بنا **الوعي القومي** — بالمعنى المتواضع عليه اليوم — الى ما افضى بهم اليه ، والوسائل متوفرة والايام مسعفة ، ان نحن عقلنا ؟!.

س — ١٠ — ما هي القومية ؟

ج — — القومية هي مجموعة من الخصائص ، والمزايا، والطباع والتقاليد ، والعادات ، والفضائل ، **والعيوب** ايضا ، وطرق النظر الى الكون والنظم الاجتماعية ، تنطبع

بالجملة ، على مر الاجيال ، وبدرجات متفاوتة ، من حيث الكم او القدر، في نفوس قوم، تعرف بهم ويعرفون بها؛ وتجمعهم جامعة واحدة لغوية وادبية وتاريخية ، وروابط مشتركة ، من ذكريات وآمال ومصالح ومؤثرات اقليمية متممة بعضها للبعض الآخر ، من دون ان تقوم فيهم جميعا ، الوحدة العنصرية . هذه هي القومية .





موجات الجزيرة

●

كانت الموجات التي تقذف بها الجزيرة الى الشام ومصر – على العكس مما يتوهمه الشعوبيون – عاملًا قويا ، بعد استقرارها في هذين القطرين على التمكين للعروبة فيهما ؛ ذلك انهـــا ، اي هذه الموجات تبلورت فيها العروبة ، فاعلة ومنفعلة مع الزمن ، ولا سيما بعد الموجة العربية الكبرى الصافية المتبلورة ، هذه المرة ، في القرن السابع الميلادي .

س – ١١ – ولكن اليس صحيحا ما يقولونه من ان شعوبا «١» عمورية وكلدانية واشورية وارامية وفينيقية الخ... سكنت فيما مضى من التاريخ (سورية) زمنا طويلا ؟

ج – – بلى، ان هذا صحيح، وما كنا لننكر الحقائق، ونحمّل التاريخ ما لا يحمله، لاغراض ومآرب – كما يفعل بعض الناس – كلا، اننا لا نفعل هذا ولن نفعله ابدا. ان هذه البقعة من الوطن العربي (الشام)، كانت مدة من الزمن مسرحا لهذه القبائل التي يحتج بها منكرو العروبة، والبعث العربي، بعضهم عن غرض ومروق، وبعضهم عن جهل وحسن نية، ولكن هذه القبائل نفسها، اكثرها بطون من العرب «٢». ولقد افنتها فيها العروبة بعد ان تبلورت ؛ العروبة الخالصة الجبارة التي لا تفنى ؛ وسنفصل هذا استناداً الى العلم، والى التاريخ الصحيح، والى المنطق السليم، والى الواقع الذي هو نتيجة تفاعل عناصر المجتمع، وغلبة بعضها على البعض الآخر، لتصدق – بالجملة – الحكمة القائلة : « لا يصح الا الصحيح ولا يبقى الا الاصلح ».

---

(١) سبق ان اشرنا الى ان هؤلاء الناس لا يصح ان نطلق عليهم كلمة (شعوب) وانما هم قبائل ليس غير.

(٢) « سايس » الانكليزي – اجرومية اللغة الاشورية – « اشرودر » الالماني – مجلة الشرق الالمانية – سنة ١٩٣٨

كانت هذه القبائل والكلدية والعمورية، – واليها تعود الكنعانية والارامية والفينيقية واخواتها، – تنزح من جزيرة البحرين، ومن شواطىء البحر الاحمر، ومن بين النهرين «١» وبقية انحاء الجزيرة العربية الى مصر، والى بلاد الشام، الدفعة بعد الاخرى، في الزمن البعيد جداً، «٢» وهي قبائل تمت الى العرق العربي بصلة، كما اثبت ذلك كبار المؤرخين، الذين لا يصح اتهامهم بالتغرض للعرب، مثل العالم الانكليزي «سايس» والعالم الالماني «إشرودر» «٣» فضلا عن مؤرخي اليونان. ويقول العالم العربي الكبير، الامير شكيب ارسلان، مستشهداً باقوال المستشرقين من علماء التاريخ والاجتماع في هذا الصدد، ما ملخصه: «ان اكثر الشعوب السامية انما هي بطون من العرب. وان الاراميين كلمة معناها سكان الجبال – وقد قال ذلك المرحوم المؤرخ جرجي زيدان وغيره –

(١) «بت» الانكليزي، في بحثه عن حفرياته الكثيرة في البحرين.

(٢) ان اول الهجرات السامية، وقعت حوالي سنة ٣٥٠٠ قبل المسيح، – القبائل الكلدية، – واخذت طريقها على ساحل البحر الاحمر؛ فحول شبه جزيرة سيناء؛ الى مصر، فنزلتها على سكانها الحاميين؛ وتولد من المزيج الذي حصل بين الفريقين، المصريون القدماء. وفي الوقت نفسه تقريباً، تدفقت هجرة سامية ثانية، بطريق ساحل الخليج الى وادي دجلة والفرات (العراق) وفي منتصف الالف الثالث قبل المسيح، قذفت الجزيرة العربية بموجة جديدة من البدو، وهم المسمون (العموريون) ومنهم الكنعانيون الذين نزلوا جنوبي (سورية) والفينيقيون الذين نزلوا الشواطىء.

(٣) راجع الصفحة ٣٧ من هذا الكتاب.

وان الكنعانيين كلمة معناها ، سكان السهول ، وليس المقصود بالاراميين او الكنعانيين « امة » . اما السريان فهم الاراميون انفسهم ، سماهم اليونان سريانا ، وهؤلاء واولئك جميعا يمتون الى العرب بصلة . كما انــه يوجد في اواسط آسية ، الايرانيون والطورانيون ، وقد يتوهمونهم شعبين منفصلين نسبا ، مع انهم في الحقيقه من شجرة واحدة . واما المقصود من كلمة « الايرانيون » فسكان الحواضر ، ومن كلمة « الطورانيون » ، سكان البوادي . ويتابع الامير الكلام ، فيقول مستشهداً « بهيرودوتس » اليوناني الملقب بـ « أبو التاريخ » وبالعلامة الانكليزي «بت» : «ان قسما من الفينيقيين جاؤا من جزيرة البحرين ، وقسما آخر من سواحل البحر الاحمر ، وعلى كلا الحالين فهم عرب من نفس جزيره العرب» .

وقد قام العلامة الانكليزي « بت » بحفريات كثيرة ، في جزيرة البحرين ، اثبتت له هذا . ويذهب العلامــة « هيرخت » مؤلف كتاب « الحفريات الاثرية في القرن التاسع عشر » الى ان الملك « مالكي صادق » الذي كان يملك في «سورية» : الشام ، يوم جاءها ابراهيم الخليل ، كان عربياً .

ونحن نقول : فلنفرض ان هذه الحقائق ، التي يثبتها المحققون من علماء التاريخ والاجتماع ، لا اصل لها ، او انها كلها اخطــاء واوهام ، فان امامنا ما يثبت كون اهل الديار الشامية واهـل مصر والسودان وافريقية الشمالية ، عرب ، لا قومية لهم الا القومية



هجانـــة

العربية ، بما لا تنفع فيه مكابرة ، ولا يوهن من بلاغة دلالته القوية ، تخرص او تفلسف، للتضليل،وهو: الواقع. الواقع المشاهد المحسوس الملموس المفحم في اللغة والادب والاجتماع ، والتقاليد ، والميول والذكريات ، والامال ، والمطامح . هذا الواقع الذي هو مظهر من المظاهر ، لمخلفات اجيال مليئة بتفاعل العناصر ، وتطاحنها ،في مقدمات نوجزها ، فيما يلي :

في زمن يرجع الى ما قبل الزمن المعروف تاريخه بجـلاء ، سكنت الديار الشامية،قبائل عرفت بالكلدبين والعموريين ـ ومن فروعهما ما يعرف بالكنعانيين والفينيقيين ـ، الخ ... ونريد ان نعتبر هذه القبائل كلها ــ خلافاً للحقائق التاريخية والاجتماعية التي اقرها العلماء ــ قبائل ، بل شعوبا ، لاتمت الى العرق العربي بادنى صلة ، وانها غريبة عن العرب ، كالترك ، والفرس ، والطليان ، والالمان ، والانكليز ، والفرنسيس وغيرهم من الاعاجم. ففي ذلك الزمن نفسه ، سكن هذه الديار ناس ، اسمهم في التاريخ : عرب. اذ انه قد ثبت :

اولا : كون العرب ــ العرب بهذا الاسم نفسه ــ سكنوا « سورية » : الشام ، « من على عنق الدهر » ــ على حد تعبير العالم الجليل الامير شكيب ارسلان ــ، اي من اقدم الازمنة، كما قرر ذلك ، العلماء الذين استشهدنا باقوال فريق منهم .



تأبير النخل

ثانياً – انه بعد نزوح هذه القبائل ، من الجزيرة العربية الى الشام ، في فترات من الزمن مختلفة ، اندفقت من الجنوب الى هذه الديار ، في فتره من الزمن التاريخي الجلي جداً هذه المرة ، موجات عربية يمنيه ، أسست في البلقاء (شرق الاردن) مملكة عزيزة ، ما يزال من اثارها حتى الساعـــة ، في وادي موسى ، وجرش ، ومأدبة ، وغيرهن ، ما يدهش ويدعو الى الفخر (١) .

ثالثاً – ان مملكة عربية في زمن تاريخي ، اكثر جلاء هذه المرة ، تأسست في تدمر ، ما يزال الذين يعرفون تاريخ بلادهم من العرب ، يذكرونهـــا بفخر . فقد بقيت هذه المملكة الى سنة ٢٧٢ ب . م. اي الى مابعد استيلاء الرومان على الديار الشامية ، بثلاثماية واثنتين وسبعين سنة . اذ ان الرومان قد استولوا على هذه الديار في السنة ١٠٠ ق.م.

واشهر ملوك العرب في مملكة تدمر ، كما هو معروف حتى الان ، الملك أذينة ، والملكة زنوبية . وفي سنة ٢٧٢ بعد الميلاد تغلب الرومان على الملـكة زنوبية ، بما لا مجال لشرحه هنـــا ،

---

(١) ان الانباط الذين اسسوا هذه المملكة في البلقاء حوالي سنة ٥٠٠ قبل المسيح ، هم من عرب اليمن ، كما اثبت ذلـك مؤرخـو اليونان : هيرودوتس– القرن الخامس والرابع ق.م. وتيوفراست وبروس–القرن الرابع والثالث ق.م. –الذين استشهد بهم، ونقل عنهم، مؤرخو العرب فيما بعد .

ووقعت المملكة تحت «الانتداب» الروماني ..(١)

رابعاً – ان موجات عربية اخرى ، اندفقت على ديار الشام، منها الغسانيون ، وهم من القبائل العربية اليمنية : «الأزد» فأسسوا فيها بعد مملكة تدمر ، مملكة ظلت كما هو معلوم ، زمناً طويلاً ، حليفة للرومان ، واذا قلنا ان هذه المملكة كانت تتأثر بالرومان ، نظراً الى وضع الغسانيين ، بالنسبة الى الرومان يومذاك ، فلا ينفي هذا ، انه كانت هناك مملكة عربية غسانية .

وقد اثر هولاء الناس العرب الذين سكنوا سورية «من على عنق الدهر» في القبائل ، او الشعوب ان شئت ، التي مر ذكرها ، وامعن في هذا التأثير العرب الذين جاؤا بعدهم ؛ ولا سيما بعد الرسالة ، الى ان افنوا فيهم تلك القبائل ؛ كما سنرى ذلك مفصلاً في الصفحات التالية .

---

(١) كانت السلطات القائمة في سنة ١٩٣٩ قد اعتقلتنا ونفرا من كبار رجالات القضية العربية وكرامهم ، ونفتنا الى تدمر ، ووضعتنا في السجن ؛ في ثكنة عسكرية لما يسمونه (فرقة الغرباء) ثم بعد نكبة فرنسة أخرجنا من السجن الى البلدة ، حيث بقينا في اقامة جبرية مدة من الزمن ، تيسر انا خلالها ان نشاهد ، فيما شاهدناه من الاثار ، اثار المملكة العربية التدمرية . وانها في الواقع لاثار ضخمة بديعة ، ما تزال تنطق بعظمة العرب التدمريين ، وملكتهم العربية الجليلة زنوبية ، وتثير في نفس كل عربي يقع نظره عليها ، الشؤون والشجون ...

العرب بعد الرسالة

•

ان وشائج القربى في العروبة بين مصر والسودان، والشام، وبقية الاقطار العربية، متأصلة الجذور في القدم؛ اي انها اقدم بكثير من الموجة العربية الكبرى بعد الرسالة، ونعني بعد الاسلام، وانها تعود الى قرون عديدة قبل النصرانية، كما اشرنا الى ذلك في صفحات سابقة. فلما اندفقت الموجة العربية الكبرى الصافية المتبلورة في القرن السابع ب.م. وكان بها الفتح العربي الاخير الواسع الارجاء، الذي حرر الشام ومصر من نير الرومان، كما حرر العراق من نير الفرس، وحمل الرسالة الخالدة الى العالم كله، اخذت الجماعات غير العربية الاصيلة، في الشام وفي مصر، تنصهر جماعيا، من مختلف وجوه الحياة، في بوتقة العروبة الصافية الصريحة المتبلورة، انصهاراً تاماً كاملاً. ولم يبق لما يسمونه «الكلدانيين والعموريين» وما يشتق منها، من كنعانيين وفينيقيين، اي وجود. – كما يشهد الواقع – فمن المفروض علميا، إذن، ان لم نقل من الثابت يقيناً،

عمليا ، ان القبائل العربية التي كانت تتدفق موجة بعد موجة على الشام ومصر ، من على عنق الدهر ، حتى الموجة العظمى بعد الرسالة، كانت من نواحي الحياة جميعها ، اقوى من غيرها ممن سكن هذه الديار او تسلط عليها ، واصلح للبقاء ، فافنت لغاتها واطوارها وتقاليدها ثم افنتها هي نفسها «١» وبقي العرب، وبقيت لغة العرب المصطفاة ، واداب العرب ، وثقافة العرب، وتقاليد العرب، ونظم العرب ، كما هو **الواقع المشاهد المحسوس الملموس المفحم، لانها اصلح للبقاء**، فبقيت العروبة ، واستقامت القومية العربية ، في هذه الاقطار العربية جميعها .

المغالطات التاريخية والتضليل

س - ١٢ - الا يجوز ان يتشبث الشعوبيون ، وغيرهم ، بزعمهم ، رغم هذه البراهين والحجج ، لاغراض ومآرب في نفوسهم ، ويضللوا السذج والجهلاء ، بما قد يستندون اليه ، من اقوال منثورة ها هنا وها هنـــا منسوبة لمؤرخين مغرضين او غير

(١) يقول في هذا رجل ذو شأن ، من الباحثين المشهورين غير المتعصبين للعرب والعروبة ، بل على العكس، ما يلي :

« ان ما كان للعرب من غلب ديني وسياسي ، ومن تفوق في شدة الانفس وقوة الطبيعة قد استطاع في زمن قليل ان يضاءل هذه الاجناس المختلفة ويفني اسماءها واطوارها في ما كان للفاتحين من اسم وطور ولغة ودين . » (طه حسين في كتابه « تجديد ذكرى ابي العلاء » صفحة ٣٢ طبع مصر . الطبعة الثالثة)

محققين ؛ فيها هوى، وفيها تلفيق، فما الحيلة في مثل هؤلاء ؟

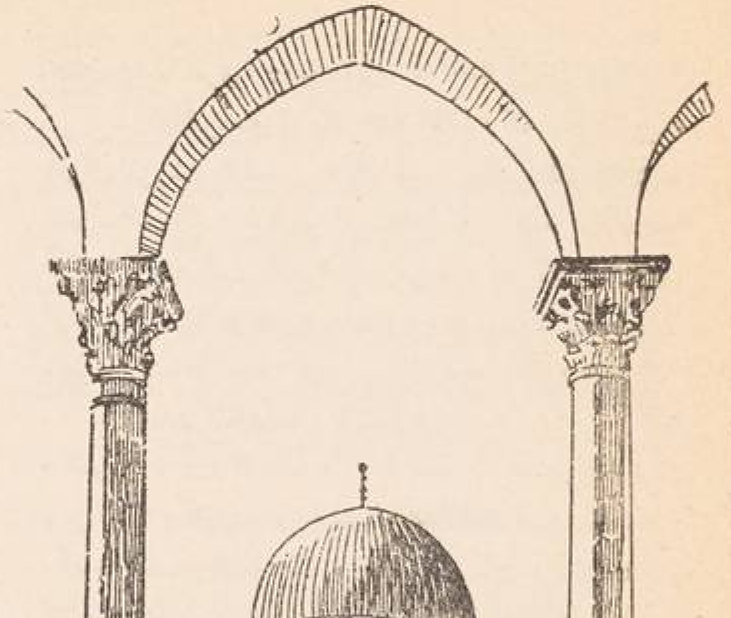
ج - ان المفروض في مثل هذه الحال ، ان يأخذ العاقل ، باقوال المؤرخين البعيدين عن الغرض ، ويقضي العلم بان يؤخذ بالقول التاريخي ، الاقرب الى المعقول ، والى ما يدل عليه الواقع ، فان بلغت الاهواء بمتغرض ما ، ان يكابر في دليل الواقع ، بعد الادلة التاريخية المعقولة ، وجب ان نهمله ، واذا بالغنا في التساهل معه ، في مثل حالنا هذه، سألناه :

اين اللغات الكلدانية والاشورية والفينيقية ، او اين اللغة « السورية » أو « اللبنانية » أو « المصرية - الفرعونية « ١ » ، واين آدابها وثقافتها ، واين شرائع هذه الشعوب، وتقاليدها ، وآثارها العلمية والفنية الحية ، وغير ذلك ، اين هي ؟ فان اصر على نكران ما اوردناه من الناحيتين ، بما يقضي العقل بان يكون ثابتاً ، من الوجوه التاريخية والعلمية ؛ اي ان يكون اهل الديار الشامية عربا ،و كذلك اهل مصر والسودان، «٢» سواء أكان ذلك بحكم السلالة والعنصرية ؛ ام بحكم التعريب والصهر ،اللذين اوردنا على صحة وقوعها الحجج والبراهين ،

---

(١) للفراعنة ، رغم ان ليس هناك لغة فرعونية ، ولا اثر فرعوني حي شأن ، سنشير اليه فيا يلي من الصفحات .

(٢) كانت مصر من اقدم الازمنة ، وكذلك السودان مأهولة بالقبائل العربية، وان المصريين والسودانيين جاءوا من بلاد العرب عن طريق باب المندب . (الدكتور حسن كمال في كتابه : تاريخ السودان العام)



قبة الصخرة – القدس

ام بحكم الامرين معاً ، ان اصر على النكران ، فمعنى ذلك ، ان هذا الناكر «المصر» غفر الله له ، يعتقد ، او يريد حمل الناس على الاعتقاد ، ان الامة تزوّر تزويراً ، او ترتجل ارتجالا ، أو انها غرسة ، نغرسها في التراب حين نشاء ، ونقتلعها حين نشاء ، لنغرس مكانها غرسة اخرى متى نشاء و كيف نشاء . ومن كان هذا شأنه لا يناقش ، فتيار الأمة الاصيل يجرفه من دون ان يعبأ به . أما نحن القوميين العرب ، ومن يرى رأينا من المؤمنين ، عن اقتناع علمي وعقلي ، بعروبة اهل هذه الديار ، والذين لا يسعنا ان نفتح اذاننا لتفلسف الشعوبيين وتخريجات المغرضين ؛ والذين نعلم علم اليقين ، ان مسألة كون « جماعة » ما ، من البشر امة واحدة تامة ؛ مهما يكن من تعدد منازلها ، و كثرة البقاع المنتشرة هذه الامة فيها ، وترامي اطرافها ، مسألة لا تزور تزويراً ، كما يزور المكتوب او السند مثلا ، ولا تحصل بالطريقة التي يحصل بها اصبغ ثوب ما ، تضعه في ماعون الصباغ ، فيخرج في الحال اصفر أو اسود ، كما تشاء ، وانما هي فوق النسب والشعور والارادة ، مسألة عمل عوامـــل لغوية وتاريخية وثقافية واقتصادية وسياسية ، خلال قرون واجيال كثيرة متعاقبة ، اما نحن ، اقول ، فما يسعنا الاعتقاد بمثـل هذا . ونربأ بعقولنا ونفوسنا عن مثله . وما قلنـاه في اهل الديار الشامية ، وفي مقدمتهم اهل لبنان ، نقوله على القياس

نفسه ، في المصريين والسودانيين واهل افريقية الشمالية ؛ استناداً الى ماتقدم من مفعول العوامل التي ذكرناها . هذا ، عدا ان اهل هذه الاقطار يشعرون مثلنا بانهم عرب ويفكرون مثلنا ، في الاتحاد العربي . ويريدونه . بالرغم مما يستعمله المستعمرون ، من مختلف الوسائل لاماتة الشعور العربي في نفوسهم ، ولاستمرار التفرقة في صفوفهم والتجزئة في وطنهم . وقد اعطينا على ذلك مثلاً حياً (١) . وللشعور والارادة في مثل هذه الحال ، قيمة عظيمة جداً .

س - ١٣ - هل ان تعريب العرب لتلك القبائل و « الشعوب » ، وبالتالي صهر العرب اياهم ، في البوتقة العربية ، قد تم قبل الفتح العربي الكبير ، ام انه بقيت منهم بقية ، حتى هذا الفتح ثم فنيت في العرب بعده .

ج - - ان هذه « الشعوب » ، كما اثبتنا فيما تقدم ؛ كانت تنفعل بالعرب الخلّص انفعالا تدريجيا ، وينصبغ فريق كبير منها بصبغتهم ، بالنظر الى توالي الموجات العربية البدوية من الجزيرة ، والى تعاقب الدول العربية التي ذكرناها (٢) ، على الديار الشامية كما تقدم ، على انه بقيت بقايا ، ولا سيما في المدن ، حتى الفتح العربي الاخير ، محتفظة بشيء من خاصيتها . ومنها « الاراميون » الذين ، يعرفون بالسريان ، كما سماهم اليونان

(١) راجع الصفحة ٢٧ - ٣٠ من هذا الكتاب

(٢) راجع من الصفحة ٣٨ - ٤٦ من هذا الكتاب

ومعنى كلمة « اراميون » سكان الاعالي من الارض ـ وقد ذكرناه ـ وقد كان مصير هذه البقايا ، كما يفهم من مؤرخي العرب، والمؤرخين الاجانب انفسهم بعد الفتح العربي الاخير ، كما يلي :

فريق ، قتل في المعارك التي دارت بين جيوش العرب المنقذين ،وبين جيوش الرومان، وفريق نزح مع الرومان المغلوبين ،والفريق الذي اختار البقاء بعد الفتح ، هضمه العرب الاقحاح الخلص ـ هذه المرة ـ ففني فيهم فناء تاماً ، فيكون التعريب الشامل الكامل ، قد تم بعد الفتح العربي الاخير ،في الشام، و كذلك في مصر والسودان وافريقية الشمالية . ويكون اهل الاقطار العربية التي تقدم ذكرها ، اصبحوا يؤلفون بمجموعهم منذ ذلك الحين ، امة عربية واحدة تامة ، رغم تعدد القبائل ، والشعوب ، التي سكنت كثيراً او قليلا، في الماضي هذه الاقطار او بعضها ، ورغم تبعثرهم في بقاع اختلفت اسماؤها ، ورغم الحدود المصطنعة بين قطر وقطر ، ورغم وضعهم السياسي وتعدد حكوماتهم، ورغم تسلط دول اجنبية مختلفة على جزء كبير من بلادهم .

س ـ ١٤ ـ ولكنه حدث بعد الفتح العربي هذا نفسه ، وانشاء الدولة العربية الكبرى ، ان هبت على هذه الدولة عواصف فسختها ، ووضعت على رأس الحكم في بعض اجزائها ، ان

لم نقل كلها ، ملوكا وحكاما غير عرب ، ثم استولى الترك على البلاد العربية ، وظلوا في بعضها بالاسم وبالفعل ، مدة طويلة جداً ، فقد استمر حكمهم في الديار الشامية ، مثلا ، اربعماية سنة ونيف (١) ، افلم يدخل على العرب خلال هذه المدة الطويلة عناصر غريبة ... تترية ، وفارسية ، وفرنجية ، وتركية ، وغيرها ؟!

ج - بلى ، طبعا ، على ان هذه العناصر ، لم تؤثر في العرب الا بمقدار ، وتأثرت بهم . ونعني بقولنا «لم تؤثر في العرب» ان هذه العناصر ، لم تستطع ان تؤثر في عروبتهم وفي طبيعتهم العربية الاصيلة ، وظلوا يشعرون في قرارة نفوسهم ، بانهم عرب، او كما يقول بعضهم «اولاد عرب» ويباهون بذلك(٢)

(١) فتح السلطان سليم التركي ديار الشام سنة ١٥١٦ وخرج الاتراك او اخرجوا منها سنة ١٩١٨ في بدء نهاية الحرب العالمية الاولى ، وكانت الجيوش العربية التي دخلت الشام في ذلك الحين، بقيادة فيصل الكبير ، ملك سورية فيما بعد ثم ملك العراق ، بعد فاجعة الشام ، وثورة العراق الكبرى .

(٢) كل واحد من اهل البلاد العربية ايا كان الاقليم الذي يعيش فيه ، والمذهب الذي نشأ عليه ، يقول لك حتى هذه الساعة عن نفسه « انه عربي » ففي لبنان خاصة ، وفي بقية انحاء الديار الشامية عامة ، يعرفون عن نفوسهم بقولهم – ولا سيما في ديار الغربة – « اولاد عرب » وكان يغني عن ذلك ، قولهم عربي وعرب . ولكن التعبير ، آت كما نظن، من اصطلاح الاتراك في الكلام على العرب ، فكانوا يقولون « عرب اوغلو » اي ابن عرب ، ومن غريب امر بعض الناس ، خصوصاً عندنا في لبنان ، انهم يستنكرون القول

وكل ما طرأ على حياتهم من تأثرات،لا بد منها بطبيعة الحال، لاختلاط هذه الاقوام بهم، صهروه، ووسموه بسمة عربية. وقد اثر العرب من ناحيتهم، في هذه العناصر وعربوها لغة وادبا وعادات وتقاليد اجتماعية، وبالرغم من ان سيادة الترك العثمانيين، في البلاد العربية، كانت طويلة الامد اكثر من كل سيادة اجنبية اخرى، فانهم لم يستطيعوا ان يترّكوا عربيا واحداً، في اثناء حكمهم الطويل. لقد استعمروا البلاد العربية سياسيا، ولكن العرب في اثناء هذا الاستعمار،قد استعمروهم ادبيا. فاذا كان الحكام السادة المطلقون،انفسهم، من اتراك وغيرهم، لم يستطيعوا في هذا الصدد شيئا، فما يكون شأن غيرهم في هذه الناحية، ممن كانوا رعية، وهم قلة ؟! ان في هذا وحده ما يدل دلالة واضحة جداً، على هذه الخاصة العجيبة في العربي، وهي انه في مختلف الاحوال، يستطيع ان يذيب في بحره كل احد، ولا يستطيع احد ان يذيبه. ونسوق مثلا على ذلك حاضراً محسوساً، وهو هذا الواقع في الاقطار العربية كلها. وبصورة خاصة في الديار الشامية. وبصورة اخص في افريقية الشمالية. حيث

بانهم عرب، او يترددون فيه، فاذا قلت لهم الستم اولاد عرب ؟ اجابوا من دون تردد «بلى لكن شو نحن».وفي مصر نفسها،تندثر في الاذهان، الفرعونية الموهومة، ويستفيق اخواننا المصريون على عروبتهم.

الاستعمار الفرنسي على اشده . وحيث جزء منها « الجزائر » مر عليه تحت نير الاستعمار الجديد ، الذي يتعمد الاذابة او الافناء ، اكثر من مايه سنة ؛ وما تزال رغم ذلك ، اصوات فيها تتعالى ، واحزاب تؤلف في سبيل العروبة ؛ وانشاء دولة عربية . افلا يقوم هذا شاهداً حيا ناطقــا على صحة ما نقوله وثبوته .. الا يدل على ان هذه الشعوب كلها، قد انشعبت من شجرة واحدة ، هي الامة العربية ؛ لذلك فهي متساوية كلها تقريباً ، في قوة الخاصة العجيبة التي ذكرناها . وفي الحنين الى العروبة . والرغبة في انشاء الكيان العربي القومي الموحد . او الدولة الاتحادية العربية الواحدة (١) .

---

(١) قد يكون هناك تفاوت في الدرجة . وليس في النوع تفاوت .

الأقليمية الهدامة

•

ان هذه الاقليمية البغيضة ، ترافقها وتغذيها شهوة الحكم والانانية الضيقة الذميمة ، هي التي عجلت في انحلال السلطان العربي قبل مئات من السنين . وهي التي ما تزال تحاول وضع العقبات ، في طريق الدولة العربية الاتحادية الواحدة . وقد بدأت هذه المحاولة في تاريخنا الحديث علانية ، بعد الثورة العربية الكبرى ، من اجل الوحدة والاستقلال . وقواها الاجنبي المستعمر بكل ما يمكن من قوى ، خصوصاً الذهبية والورقية منها ... وسيهدم العرب هذه الاقليمية ، وانهم لفي سبيل ذلك منذ اليوم .

س - ١٥ - لماذا يقولون اذن امة عراقية ، وامة مصرية ، وامة سورية وامة يمنية الخ ... حين الكلام على هذه الشعوب التي تسكن هذه الامصار ؟

ج - ـ ان مدلول كلمة « الامة » كما نفهمه اليوم ، لم يكن محدداً وواضحاً عند اجدادنا ، ولذلك اسباب ليس هناموضع ذكرها . على انهم استعملوا هذه الكلمة لِما قد يقرب بمانريده اليوم . وفي معاجم اللغة العربية : « الامَة » : الجماعة من الناس . والجيل . والقرن . واهل الزمان الواحد . وغير ذلك . وهذه التفاسير كلها ، لا تنطبق على ما نريد وما هو معروف بكلمة « الامة » عدا التفسير الاول : « الجماعة من الناس » شرط ان نحدد هذه الجماعة ، ونعرفها تعريفا جامعا . وهي لم تكن كذلك عند اجدادنا ، ايام المدنية العربية الاولى ، اي قبل المسيح وبعده بقليل . ولا ايام المدنية العربية الثانية ، اي بعد الرسالة التي أداها الرسول العربي الامين ، على احسن وجه واكمله ، فاذا أضفنا الى القول « الجماعة من الناس » قولنا : التي لها لغة واحدة وادب واحد ، وثقافة واحدة ، وتاريخ واحد ، وذكريات وعادات وتقاليد واحدة ، ومصالح واحدة ، والتي لها مميزات خاصة ، تتميزبها مجتمعة ، عن غيرها من الجماعات ، التي تؤلف امما لها كذلك مميزات خاصة ، بحيث لا يبقى ما يوحد بين هذه « الجماعة » وبين « جماعة » اخرى ، الا صلة الانسان بالانسان ، وما هو مشترك بين الناس كافة ؛ اذا فعلنا ذلك ، اصبح تفسيرنا كلمة : « الامة » بـ « الجماعة من الناس » تفسيراً علمياً صحيحاً ؛ وهو ما نريده ، ونأخذ

به ونعول عليه . ولما ان اجدادنا حتى في ايام دولنا العربية الزاهرة ، وايام وحدة الدولة وعظمتها ، لم يكن تحديـــد «الامة» بهذا الشكل واضحاً لديهم (١) ؛ كما سبق وقلنـا ، اضطرب معنى كلمة «الامة» في نفوسهم . فحينما ضعف السلطان العربي (٢) واخذ عمال الدولة على الاقطار المختلفة ، ينسلخون عن قاعدة الملك ، كل امير بقطر او ولاية او عمالة ، فيصبحون جميعهم ملوكا !!! وتصبح اقطارهم ، كل قطر دولة ، انقطعت

---

(١) ولا لدى غيرهم .

(٢) لعل اول عامل حسي من عوامل ضعف السلطان العربي لم يتنبه له ، هو ما قام به الخليفة محمد المعتصم اخو الامين والمأمون ، في غير سوء قصد كما نعتقد ، من تأليفه فرقاً من الاتراك وغيرهم من الاجانب ، ضمن ملاك الجيش العربي . وقد كان ذلك خلال سني خلافته اي من سنة ٨٣٣ الى سنة ٨٤٢ م . على ان عهد التفسخ في الامبراطورية العربية ، بدأ بعد الاضطرابات التي وقعت عقيب وفاة الخليفة ابي جعفر احمد ، الملقب بالمنتصر بالله ، وفي خلافة ابي العباس احمد ، الملقب بالمستعين بالله ، وذلك حوالي سنة ٨٦٢ م . ففي ذلك الحـــين كانت (الاسرة الطاهرية) قد اسست في نيسابور ، حاضرة خراسان ، بلاطا فخما ، لا يقل عن بلاط بغداد فخامة وروعة . وكان رأس الاسرة عبد الله بن طاهر احد عمال المعتصم ، على خراسان ؛ وقد توفي عبدالله هـــذا ، في خلافة المعتصم فخلفه ابنه ، وخلف هذا ابنه محمد . وزين السلطان لهـذه الاسرة ، ان تنسلخ عن قاعدة الملك ، منتهزة فرصة الفوضى التي غمرت الامبراطورية في عهد ابي العباس احمد المستعين بالله . وشجع انسلاخ هذه الاسرة بقية الامراء والعمال على الانسلاخ بولاياتهم وعمالاتهم ، عن عاصمة الملك ، واصبحوا حكامها المطلقين ، و ... ملوكها ... — مختلف التواريخ العربية —

الصلة ، او كادت ، بين كل قطر ، ومجموع الامة ، واقتضى الحال ، ان يكون لكل دولة «امة» تبرر وجودها ، وتستمد منها سلطتها ، وترتكز في حكمها عليها . وصادف هذا التفكك ، هوى في نفوس الطامعين من الاعاجم ، ومصلحة ، فشجعوه وعملوا على الزيادة فيه . وماشى هذه الدويلات عن قصد وعن غفلة رجال سياسة ، وأرباب اقلام ، لنزعة اقليمية غلبت عليهم ، كما يحدث في عهود الانحطاط والضعف .

واستمرت النكبة من يوم تفسخ الملك العربي ، في اواخر عهد الاسرة العباسية المالكة ، الى الاستعمار التتري ، بعد استيلاء هولاكو ، حفيد جانكيز خان ، على بغداد ، وقتله المعتصم ، آخر خلفاء الاسرة العباسية سنة ١٢٥٨ م . وقيام دولة السلاجقة وغيرهم ، الى الاستعمار التركي سنة ١٥١٦ وما يليها الى اليوم .

وفشا الجهل بتاريخ الامة العربية والبلاد العربية ، فصاروا يقولون في كثير من الغفلة ، وغير قليل من القصد : الامة العراقية ، والامة اليمنية ، والامة الحجازية ؛ والامة المصرية الخ ... وهكذا ؛ اصبحت الامة الواحدة امماً متعددة !!! على ان الوجدان القومي العربي بدأ يستيقظ في نفوس افراد من

العرب ؛ في اواخر القرن التاسع عشر ؛ واوائل القرن العشرين (١) في كل قطر ، مهدداً بالقضاء على الاقليمية ؛ ومن هنا منبعث النهضة العربية الاخيرة ، وفكرة التوحيد المستمرة التي عمل لها احرار العرب ، باسم «القضية العربية» ؛ القضية العربية ، وليس القضية السورية . ولا العراقية . ولا المصرية ، والتي استشهد في سبيلها الوف من المناضلين العرب على اعواد المشانق ؛ وفي ساحات القتال ، خلال ثورات عنيفة دامية ، في الشام وفي العراق وفي كل بلد عربي . فحمل هذا ، الاقليميين النفعيين ، الذين ذعروا لهذه اليقظة ، — وبتوجيه الدول الاجنبية الاستعمارية — على التذرع لابقاء هذا التفسخ ، وتقوية الاقليمية ، بشتى الوسائل : منها ما كشفت عنه تنقيبات بعض علماء الاثار في التراب

(١) تألفت سنة ١٨٧٥ م . في بيروت جمعية عربية سرية ، كان من اعضائها الدكتور فارس نمر والشيخ ابرهيم اليازجي ، وكانت صرخة الشيخ عبد الرحمن الكواكبي قد دوت في افاق العرب دوياً يهيب بهم الى استعادة تراثهم العظيم باعتبار انهم امة عظيمة مجيدة ، لهم كل عوامل الوحدة والتفوق . وفي سنة ١٩٠٤ اسس المرحوم السيد نجيب العازوري العربي اللبناني ، في باريس ، حزباً سياسياً باسم « عصبة الوطن العربي » . والف في سنة ١٩٠٥ كتاباً باسم « يقظة الامة العربية » ثم انشأ في سنة ١٩٠٧ مجلة باسم الاستقلال العربي ، بالفرنسية .

ونحت التراب ، من بقايا الفرعونية (١) في جهة ، والفينيقية وغيرها في جهة اخرى ، ومنها ما خلفته سياسة الاستعمار ، من افساد في اللسان وفي التقاليد وفي النفوس ، وفي كل جهة ، ولكن دون ان يجرأوا على القول (الامة الفرعونية ، مثلا ، والامة الفينيقية . والامة البربرية و ... الخ) . مكتفين بالاصرار على نسبة الناس ، الى ارض قطرهم . فقالوا (الامة المصرية . والامة اللبنانية والامة المغربية او التونسية والمراكشية والجزائرية وهكذا ..) ايغالا في الاقليمية ، وفي سياسة التمزيق والاضعاف والاذلال ، وايثاراً للمنافع الفردية والمآرب الذاتية ، على منفعة المجموع ، ومصلحة الامة الحقيقية الكاملة ؛

---

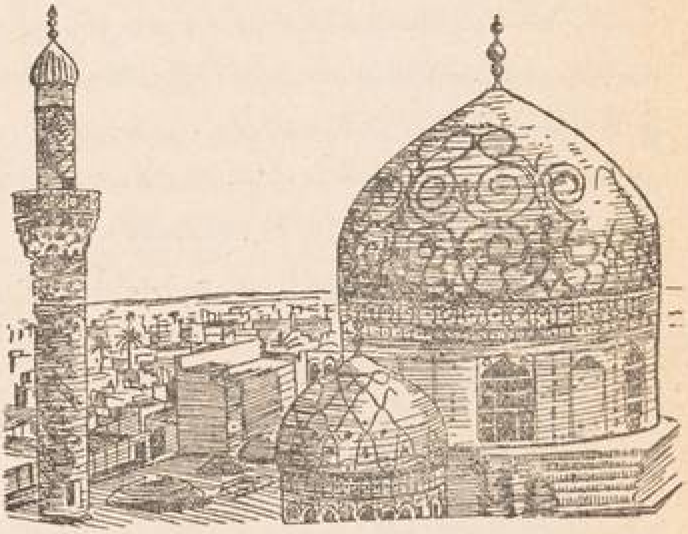
(١) ما تنكر ان للفراعنة شأناً ، غير شأن الحثيين والكنعانيين والاشوريين والبابليين والكلدانيين وغيرهم من القبائل التي تعاقبت على (الشام) وغيره من الاقطار العربية ، من اقدم الازمنة حتى انقراض هذه القبائل او اندماجها . وانه قد كانت لهم مدنية مرموقة ، وحضارة من اقدم الحضارات ، وانهم برعوا براعة بينة في صناعات كثيرة ، في مقدمتها صناعة النحت وصناعة التحنيط وصناعة البناء . وانهم قد خلفوا من الاثار ما شغل الدنيا وادهشها بين القرنين الثاني والثالث من القرن العشرين ، ولكن هذا كله كان محصوراً في القبور وحول القبور وفوق القبور . لم يورثوا لغة ولا ادباً ولا شريعة ولا فلسفة . وليس لهم في مصر ، ولا في غير مصر ، طابع فكري خاص ، او معنوي او خلقي او روحي . وليس هناك تقاليد فرعونية ولا عادات ولا اداب ولا شرائع فرعونية . فالفراعنة من هذه الناحية مثل البابليين والاشوريين والعموريين والكلدانيين وغيرهم من مثلهم ، لم يبق لهم من وجود .

وقد عمل لهذا وشجع على العمل له الاجانب المستعمرون على اختـــلاف دولهم ومللهم. ولولا ان يكون بين ذوي «الوعي القومي» من شبان العرب المثقفين في كل قطر، من يدقق في هذه القضية، ويسهر عليها، لخشينا ان يجرنا التفسخ والجهل والغرض والغفلة، الى القول بامة بغدادية وامة بصرية وامـــة دمشقية وامة حلبية وامة بيروتية أو زحلية، وامة دمياطيـة أو صعيدية وهكذا ... والحقيقة والواقع، ان هؤلاء جميعهم مثل غيرهم، من العرب، في مختلف الاقطار والبقاع، اجزاء من «كل» هو «الامة العربية» لو عقلنا. الامة العربيـــة المجيدة الخالدة التي لا تموت. بيد ان هؤلاء الذين يريد «البعض» الانتساب اليهم، وهم لا وجود لهم، ولا لاثر منهم، الا في التراب أو تحت التراب، قد اثبت التاريخ والعلم، انهم من العرب، كالفينيقيين، ولا نقول والفراعنة أيضاً، لان الادلة التاريخية العلمية على عروبة هؤلاء، لما تتوفر لدينا، رغم ما يذهب اليه بعض المؤرخين، ورجـــال العلم والرأي، ومن هؤلاء الاستاذ مكرم عبيد (١) من ان الفراعنة من العرب.

(١) قام الاستاذ الكبير السيد مكرم عبيد، برحلة الى الديار الشامية سنة ١٩٣١ م. فاستقبل في كل مكان حل فيه، استقبالا حافلا جداً. وفي جملة المآدب التي اقيمت له، مأدبة اقامها المثري الوجيه، السيد عبدالله الريشاني، في شتورة – لبنان – جمعت فريقاً كبيراً من رجال العرب في هذه الديار، خطب فيها

اما القول ان اهل هذا الساحل العربي اللبناني من بقايا الشعوب المنقرضة، او من سلالة الشعوب المنقرضة، فساقط من نفسه اذ كيف يكون للمنقرضين بقايا . . .

مؤلف هذا الكتاب ، وحمل في بعض عبارات من خطابه، على الفكرة الشعوبية والاقليمية المتلبسة بالفرعونية في مصر ، وبالفينيقية في لبنان . فاجابه المحتفى به ، بخطاب طويل قيم ، قال فيه من شأن الفكرة الفرعونية والقائمين بها في مصر ، معلناً ان مصر عربية ، ثم قال ما ملخصه (ان الفراعنة انفسهم من العرب) .



جامع الكاظمية ـ بغداد

الشعب عند العرب

•

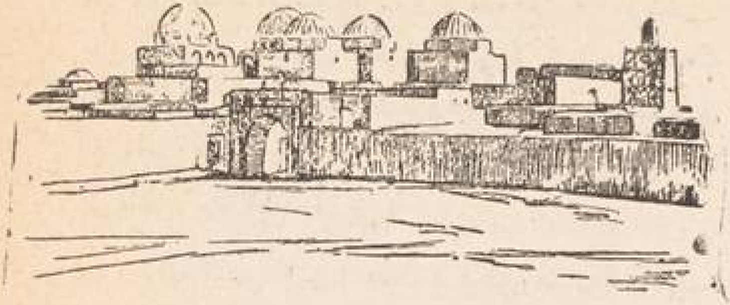
يجدر بنا زيادة في التقصي، ان نذكر كيف كان اجدادنا يفهمون كلمة «الشعب» ويحددونه، مما نسيه وبالاسف الفريق الاكبر منا . قال صاحب «الكشاف» : (الشعب عندالعرب ملتقى الطبقـــات الست ، التي عليها العرب وهي : الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة) . فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن يجمع الافخاذ ، والفخذ يجمع الفصائل . واعطى مثلا على ذلك فقال : (فخزيمة ، شعب . وكنانة ، قبيلة. وقريش ، عمارة . وقصي،بطن. وهاشم، فخذ. والعباس، فصيلة .)

وانه كما ترى لتقسيم بديع معقول .

وما دام في العرب غير «خزيمة» شعب، ينقسم بدوره الى هذه الاقسام ، وما دامت كلمة «امة» لم يكن لها كما تقدم

ذلك المدلول المحدد الواضح ، الذي اصبح لها اليوم ، لكي يستعملها اجدادنا لما نريده تماما ونستعملها له نحن اليوم ، وما دام القياس يساعد على استعمالنا هذه الكلمة ، في الكلام على العرب مجتمعين ، لما اصبحت تدل عليه في القرن العشرين ؛ قرن القوميات ؛ فنكون على حق وعلى صواب ، اذا نحن قلنا اليوم : (ان ملتقى الطبقات «السبع» التي عليها العرب او «الاجزاء السبعة» ـ ونفضل كلمة اجزاء ـ هو «الامة». وان الامة تجمع الشعوب ، كما يجمع الشعب القبائل . وكما تجمع القبائل العمائر .. الى آخره) . ولا قيمة لما قد يقوله قائل معترضا . (ان القبائل التي يجمعها عند العرب ؛ الشعب ، كانت كلها من دم واحد عربي . وان شعوب هذه الاقطار ، التي تقولون انها تؤلف مجتمعة ، امة واحدة ، لتكون «الامة العربية» ملتقى هذه الشعوب ، ليست من دم واحد عربي) .

لاقيمة لمثل هذا القول ، ما دام قد ثبت علمياً ان وحدة الدم والسلالة المطلقة ـ وان تكن قوة معـــدودة في بعض الحالات ـ ، ليست شرطاً ، لا تكون جماعة مـن الناس ، بدونه ، امة واحدة تامة . وان للامة الواحدة التامة ، عناصر تخلقها وقد حددناها ـ كما هو ثابت علمياً حتى اليوم ـ ، وقد توفرت هذه العناصر لشعوب الاقطار العربية ، التي ذكرناها ، وخلقت منهم امة واحدة تامة ، كما اثبتنا ذلك في صفحات سابقة .



مسجد القيروان

اهل القطر الواحد

•

قد يحتج بعض الشعوبيين ، او المهترين ، من ابناء بعض الاقطار العربية – وهم عرب – بان هناك مزايا لاهل بعض اجزاء الوطن العربي ، تجعل من اهل هذه الاجزاء امة قائمة بنفسها – كما حدث فعلا – لبعض ابناء اعمامنا في مصر ، في الاجتماع الذي عقدته مجلة « المصور » في « دار الهلال » في ١٧ نيسان ١٩٥٣ وكان ابطاله ، من اهل المنزلة والشأن ، فكري اباظه ، وعبد الرحمن عزام ، وحسين كامل ، (١) الذين ابدوا

(١) انظر العروبة اولا . ساطع الحصري . صفحة ١١٥ – ١٣٧

من الاراء بشأن القومية العربية والوحدة العربية ، وبشأن مصر والمصريين ما يثير الدهشة ، لكي لا نقـول الضحك والسخرية؛ او يحتجون بان هناك فروقا بين قطر عربي وقطر عربي آخر، تجعل من كل قطر امة ! ونحن نتولى الجواب عن الاسئلة التي تتصل بهذا الشأن فيما يلي :

س - ١٦ - لقد التبس الامر ، فلماذا لا يمكن اعتبار العراقيين ، مثلا ، (امة) عراقية تامة ، ما دام ان الجماعة من الناس التي لها لغة واحدة وتاريخ واحد وادب واحد وذكريات ومصالح واحدة ، و ... الخ ... هي الجماعة ، التي يطلق عليها اسم (امة) ، وهذا كله متوفر للعراقيين ، توفره لاهل القطر الواحد من الاقطار العربية الاخرى ، كالمصريين والشاميين وغيرهم ؟!

ج - - كلا . ان الامر لم يلتبس ، ولن يلتبس أبداً ، وهو واضح جـد الوضوح ، فلنتذكر تحديد الامـة ، ولنفكر تفكيراً واسعاً عميقـاً في اوضاع الامم ، يتبين لنا وجه الصواب والحقيقة . ولنأخذ من العرب اهـل قطر واحد، العراقيين، مثلا ، ثم نقيس عليهم غيرهم ، ان العراقيين لهم شركاء في لغتهم وتاريخهم وادبهم وتقاليدهم ومصالحهم . وفي شعورهم وذكرياتهم وآمالهم ومطامحهم. وهم لا يتميزون

عن هؤلاء الشركاء، بمميزات خاصة فارقة، ولا هؤلاء الشركاء، يتميزون عنهم بمميزات خاصة فارقة، بحيث لا يبقى ما يوحّد بينهم جميعاً، الا صلة الانسان بالانسان، وما هو مشترك بين الناس كافة، فيصبح كل فريق امة تامة؛ فهولاء الشركاء، هم اخوانهم وابناء اعمامهم من العرب في بقية الاقطار. **فهم امة بالاضافة الى هؤلاء**. كما ان هؤلاء من مصريين ويمنيين وشاميين [1] وغيرهم من مثلهم، امة بالاضافة كل فريق الى الآخر، **بحيث يكمل كل فريق، الفريق الاخر، فيؤلفون بمجموعهم امة واحدة تامة.**

الفروق بين قطر وقطر

س - ١٧ - ان بين الشعوب العربية فروقاً ظاهرة، تقل وتكثر بالنظر الى كل قطر، ووضعه، ألا تكفي هذه الفروق، للاحتجاج بها، على ان كل شعب منفصل عن الشعب الآخر نسباً وقومية؟

ج - ان بين هذه الشعوب فروقاً ظاهرة فعلا، ومع ذلك فهي تؤلف امة واحدة تامة، ذلك لان هذه الفروق سطحية لا تأثير لها. وهي مسببة عن تفاوت في درجات الرقي علمياً واجتماعياً، وليست مسببة عن اختلاف اصيل، في الطبائع والاخلاق، والعادات والتقاليد، والاحساسات القومية العامة التي يسم بها كرّ الاجيال والجماعة من الناس، بسمة أمة ما..

(١) اي وسوريين ولبنانيين؛ كما يقولون اليوم.

ومن الجهل او سوء النية ، التمسك بهذه الفروق السطحية ، واتخاذها دليلا على ان كل شعب ، من هذه الشعوب ، يؤلف بنفسه امة تامة . فهناك العلم ، الذي اخذ ينتشر على اختلاف درجاته في مختلف صفوف الامة ، في جميع اقطارها ، وهو كفيل بمحو هذه الفروق ، في قليل من السنين ، على قدر ما تسمح به سنة الكون ونظم التطور ، وقابلية النفس والعقل ، لا سيما اذا توحدت اهداف الثقافة ، وأحسن توجيه الناشئة العربية بالطرق الحديثة نحو المثل العليا (١) .

ثم ان هذه الفروق نفسها التي يشيرون اليها ، نراها بين مدينة ومدينة ، وبين قرية وقرية من قطر واحد ، بل من مقاطعة واحدة . واكثر من ذلك ، اننا نرى هذه الفروق بين عائلة وعائلة ، في قرية واحدة . بل نراها بين افراد العائلة نفسها ، بمقدار ، بين الأب وبين اولاده واحفاده في الزمن الواحد . وستبقى فروق من هذا النوع ضئيلة لا قيمة لها ، في كل امة ، بحكم هذه السنة وهذه النظم وهذه القابلية ،

---

(١) اذا وحدت (الامم) العربية ـ وكان ينبغي ان يقال الشعوب العربية ـ ثقافتها واتخذت طرائق حديثة في البحث ، سبيلها الى هذا التوحيد استطاعت ان تقيم صرحاً عالياً ، هو في رأيي الوسيلة لكل ما سواه من اسباب الوحدة التي لا سبيل لنا اليوم الى تصوير اشكالها ، والتي ستجيء مع ذلك نتيجة محتومة لوحدة الثقافة .

الدكتور حسين هيكل باشا

كما هو معروف ، منذ ان عرف تاريخ البشر حتى اليوم .
ولن تؤثرهذه الفروق ،وعيب ان يقال انها تؤثر ، في وحدة امة من امم الدنيا ، ما دامت لغتها واحدة وتاريخهـا واحد ، وذكرياتها واحدة . والامها وامالها ومصالحها واحدة .

الشعور والمطامح

تبقى قضية **الشعور والمطامح** ، وهي قضية خطيرة جداً بين عوامل تكوين الامة الواحدة التامة ، لا يجوز ان ننساها او نغفلها ابداً .

قد نشعر ، ونحن عرب في مختلف امصارنا ، مع الفرس مثلاً ، والترك والفرنسيس والانكليز والالمان ، وغيرهم من الغرباء عنا ، فيما لو اصابتهم كارثة ما ، او اعتدى عليهم معتد اعتداء وحشياً ؛ وقد نتوجع لهم ، فيكون شعورنا في هـذه الحال ، شعوراً انسانياً محضاً ، يقوى ويضعف ، بالنسبة الى قوة العلاقات وضعفها ، وتقارب المصالح وتباعدها . اما شعورنا بعضنا نحو البعض الآخر ، ونعني شعور كل قطر من اقطارنا ، نحو القطر الآخر ، فهو شعور قومي محض ؛ يفيض عفواً من دون حساب ، ومن دون التفات الى **مقاييس العلاقات والمصالح** ، رغم ما قد يكون لهـذه ، من مفعول ، لا يخطر لنا في بال ، عفواً . ثم انه يتجاوز حدالشعور ، وينطلق عملامن الاعمال المحسوسة ، ضئيلاً كان ام كبيراً لاننا كالجسم الواحد

بالرغم منا ، مهما تكن الفروق القائمة بين اعضائه ، فهو يحس بالذي يصيب كل عضو ، من هذه الاعضاء ، ويدفع عنها كلها بنسبة ما فيه من احساس وحيوية ومناعة . والامثلة على صحة هذا عندنا كثيرة نكتفي بذكر الاخيرة منها وهي :

اولا – ثورة العرب في طرابلس الغرب ، وفي مراكش، وموقف كل قطر من الاقطار العربية ، التي ذكرناها ، منها.

ثانياً – ثورة العرب في الديار الشامية وموقف كل قطر عربي منها .

ثالثاً – ثورة العرب في «فلسطين» بنوع خاص، وموقف كل قطر عربي منها (١) ، ولو كان «الوعي القومي» مكتملا في نفوس العرب ، لما وقفت هذه الثورات ، عند الحد الذي وقفت عنده . وقد كان اهل بر الشام ، ايام سعد العظيم ، يتعصبون لسعد وللوفد ، بشكل قد يزيد عن تعصب المصريين الوفديين لهما ، وما كان ذلك إلا لاعتقادهم بان سعداً والوفد،

(١) حينما كتبنا هذا الكتاب لم تكن وقعت في لبنان الحوادث التي يحب البعض ان يسميها ثورة : حوادث تشرين الثاني ١٩٤٣ لذلك لم نذكرها في المتن . ونشير اليها الان هنا على سبيل مثال جديد قريب من اللبنانيين الذين لن ينسوا موقف الاقطار العربية كلها منهم ومن حوادثهم المذكورة . ويجدر بنا ان نذكر في الطبعة الثانية هذه من «قضية العرب» موقف العرب قاطبة في كل مكان من الثورة القائمة الان في المغرب العربي : افريقية الشمالية كلها .

عرب ، انما يمثلون الفكرة العربية والمطامح العربية التحررية الاستقلالية ، التي كانت تجمع بينهم وبين هؤلاء الناس في بر الشام ، كما تجمع بينهم وبين كل شعب عربي ، في مختلف هذه الاقطار العربية . وما يزال اهل بر الشام يتحمسون لحملة هذه الفكرة في مصر الغالية ، - قلوا ام كثروا - وفي كل مصر من امصار العرب ، الطامحة كلها الى التحرر والاستقلال والسيادة والاتحاد ؛ وتزداد هذه الحماسة اليوم للاتحاد والتحرر والسيادة ؛ في كل قطر لنفسه ، ولبقية الاقطار ، وستستمر في الازدياد ، كلما ازداد الوعي القومي وعمق واتسع ، وهو يزداد ويتسع ويعمق .



النيل

الوعي القومي

•

ذكرنا في الصفحة ٣١ من هذا الكتاب العوامل التي يجب ان تتوفر لتأليف دولة واحدة ؛ وقلنا ان العامل الرئيسي الاول هو الوعي القومي؛ ونحن نشرح نظريتناهذهالتي نؤمن بها ايمانا كاملا ،فيما يلي :

س – ١٨ – ما معنى الوعي القومي ؟

ج – – معنى « الوعي القومي » ، الشعور اليقظ القوي في كل فرد من افراد الامة بانه جزء من « كل » هو مجموع امته او قومه ، وبان عليه واجباً نحو هذا « الكل » الذي هو جزء منه ، في مختلف ميادين الحياة ، وشتى مقوماتها ، وان هذا « القوم » ، سواء اكان في الشرق ام في الغرب ، في الشمال ام في الجنوب ،**هو قوم واحد**،لا تجعل منه الارض المجزأة الى اقاليم متعددة اقواماً مختلفين . ونعني **بالقوم** ، غيرالاسرة، وغير العائلة والعشيرة والقبيلة ، وغير الشعب . نعني بالقوم

مجموع الامة ، على اختلاف منازلها الجغرافية ، وتباين مراكز العلم والثروة والنفوذ والجاه فيها . ونفهم باكثرية هذا القوم ، جماعات الفلاحين والعمال والصانعين . « الوعي القومي » هو شعور كل فرد ، بانه مظهر معنوي وادبي واجتماعي ومادي ، من مظاهر « قومه » الذي كونته اجيال متطاولة في التاريخ ، بكل ما فيها من وجوه الحياة ؛ وسنن الكون ، بكل ما فيها من عوامل القوة والضعف ، والعز والذل ، والغنى والفقر ، والعلم والجهل ، والطموح والقناعة ، والرضى والغضب والكفاح ، والاستسلام ، والانتصار ، والانكسار. انه شعور كل فرد بان كل ما نعم به قومه في مطاوي الاجيال ، وما ينعمون به من عز ومجد ، وشرف وعظمة ، هو عزه ومجده ، وشرفه وعظمته . وكل ما نزل بهذا القوم وما قد ينزل بهم ، من ضعف وفقر ، وانحطاط وشر ، وذل ، هو ضعف وفقر وانحطاط وذل وشر له ، وان مفارح هذا القوم ومباهجهم ومفاخرهم ، هي مفارحه ومباهجه ومفاخره هو نفسه ، وان مآسي هذا القوم وآلامهم ، هي مآسيه وآلامه هو نفسه ، في الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل . وان في انتقاص الاجنبي حقاً من حقوق قومه ، انتقاصاً لحقه هو نفسه. وبكلمة واحدة ، ينبغي لنا ويتحتم علينا ، ان نفهم وان

نؤمن ، بان « الوعي القومي » ، هو ان يشعر كل فرد من افراد الامة : « القوم » في اعماق نفسه ، بما يشبه انه **هو الامة وان الامة هو** . فلا يرضى لفرد من افراد قومه ، ولا لجماعة منهم باستعباد او بظلم ، أو جهل أو فقر ، أو ذل . وانه يريد ان يسبق بقومه ، اقوام الدنيا كافة ، في ميادين المثل العليا . **وان تغمر نفسه لذلك، نشوة من الطرب والفخر والكبرياء،** (الكبرياء والقومية)[1] .

– هذا هو في نظرنا معنى الوعي القومي –

كيف يكتمل الوعي القومي

س – ١٩ – ما هي الوسائل ، لاكتمال «الوعي القومي» على هذا الوجه في نفوس العرب ؟

ج – – الوسائل كثيرة، والاخذ بها يكون من طريقين،طريق التطور العادي البطيء، وطريق الوثب الاضطراري السريع، ونحن الى هذا احوج . وفي رأس الوسائل التي يؤخذ بها من طريق الوثب ، **الدعاية** ، **الدعاية** الصالحة المنظمة ، والقدوة! القدوة العملية ، مع القضاء على الامية ،من طريقي التطـــور

(١) قد يتعذر ان يكون كل فرد على الاطلاق كذلك ، في اية امـــة من الامم ، ولكنه يكفي ان يتأصل في نفوس الكثرة كما نريد .

والوثب معاً ، على ان يكون ذلك طبقاً لمناهج ونظم معينة ، تستهدف لها - مهما تنوعت الخطط - احياء الثقافة القومية وتوحيدها ، في مختلف الاقطار العربية ؛ وبالنظر الى مكاننا من القافلة العالمية ، التي تسير بسرعة الى اهدافها من الذروة ، ينبغي لنا ان يعمل للقضاء على الامية عندنا ، ولتوفير بقية الوسائل التي سنذكرها لاكتمال «الوعي القومي» في نفوسنا ، فريقان : الحكومات من جهة ، والاحزاب والجمعيات من جهة اخرى ، فتنشيء الحكومات ، اكثر ما تستطيع من المدارس الابتدائية العملية المجانية ، في المدن والقرى ، وفي منازل القبائل . وتقوم الاحزاب[1] والجمعيات ، بتأليف لجان ، تدور بصورة دائمة مستمرة ، على مختلف المقاطعات ، تخصص لكل قرية في كل مقاطعة ، برهة من الزمن ، لتعليم الاميين ؛ ثم تنتقل الى قرية اخرى ، ثم تعود الى هذه القرية ، وهكذا دواليك . وتدور على مختلف مطارح القبائل ايضاً ، على ان يكون في هذه الحالة مع اللجان ، نفر من شبان البدو

---

(١) لعل من العقل والمصلحة ان يسيطر الان في بلاد العرب في مثل حالهم اليوم ، والى حين ، حزب واحد ، قومي عربي اصلاحي انشائي يفنى في الامة كما يفنى الصوفي في الله ؛ او ان تتجسد هذه الاحزاب القوميه العربية القائمة الان ، في مجلس واحد ، يعمل فيا يمله لهذا الغرض ، ويمثل هذه الاحزاب كلها ، في الخطوط الكبرى ...

أنفسهم ، وهو امر ليس بعسير . واكثر ما يلائم ان يكون العمل ، في حلقات ليلية ، تعد لهذا الغرض ، مراعاة لحالة الفلاحين والعمال ، الذين تضطرهم امورهم المعاشية ، الى العمل في النهار، والذين يؤلفون مع البدو، الاكثرية الساحقة في الامة، وهم اشد افرادها حاجة الى مثل هذا التدبير. وتتخذ الحكومات والاحزاب معاً ، الترتيبات اللازمة لمثل هذا الامر، مسترشدة بوضع كل قطر ؛ ومختلف حالاته . ففي الاقطار التي تكثر فيها البداوة ، ينبغي ان تراعى في طرق القضاء على الامية ، مسألة انتقال القبيلة من مكان الى مكان . انتجاعاً للماء والكلأ. الى ان يتيسر لحكومات هذه الاقطار ، حمل القبائل على الاستقرار ؛ وتحضيرها بواسطة التعليم من جهة ، وتيسير امر الفلاحة والزراعة لها ؛ وتحبيبها اليها ؛ من جهة اخرى . **وفي وسع الحكومات العربية اذا هي شاءت ، ان** تضع نظماً خاصة تعجل في استئصال البداوة والامية . وتجعل من البادين اليوم ؛ فلاحين وعمالا مستنيرين ؛ يحولون اراضي هذه الاقطار الواسعة المترامية الاطراف، الى حقول نضرة وبساتين مثمرة . ومن الضرورة في مكان عظيم جداً ، ان يكون التعليم عملياً بين البدو والفلاحين خاصة . فليس لدى الامة ، متسع لاضاعة الوقت ، بالسفسطات الكلامية . والمطولات الصرفية والنحوية وما شاكل . ان القافلة تسير بسرعة فمن

الواجب المحتم ؛ ان يتعلم اخواننا ومواطنونا هؤلاء، مع تعلمهم القراءة والكتابة، كيف يجب ان يفلحوا وان يبذروا البذور. وان يغرسوا الاشجار. وان يربوا المواشي. وذلك بالنظر الى موقع ارض كل فريق وتربتها ومناخها، وبطرق فنية حديثة مبسطة. وان يتعلموا كيف يجب ان يعيشوا. نعم. كيف يجب ان يعيشوا: ان يلبسوا. وان يأكلوا وان يشربوا وان يناموا. وكيف يجب ان يتقوا الامراض. وان يعاشروا بعضهم بعضاً. ذلك كله على اساس من قواعد الصحة. واحترام النفس. وان يتعرفوا الى حقوقهم وواجباتهم، على اوسع وجه ممكن. باعتبار ان كل واحد منهم. انسان حر. ومواطن امين نافع. ولا بد في مثل هذه الحال، من النظر في المسألة **الاقطاعية**، القضاء عليها، ومعالجة اسباب انهيار مجتمعنا العربي بصورة عامة، باعمق وسائل العلم والحزم والانصاف، وبكلمة واحدة واضحة، يجب علينا، ان نحارب الجهل والمرض، والفقر والظلم، والذل، محاربة منظمة، مستمرة، لا هوادة فيها، ولا تردد ولا استثناء. وعلى اساس نظم حديثة اقتصادية اجتماعية عادلة معقولة.

الوسيلة الثانية

كتابة تاريخ الامة العربية : — ولا نقول تعليم تاريخ الامة العربية —، فان هذا التاريخ، لم يكتب بعد، كما نريد،

وكما ينبغي ، اي بطريقة علمية حديثة وقومية خالصة ،
ولست اعني - طبعا - ان تطغي العاطفة القومية على
الحقيقة ؛ ثم تعليمه الناس ، مكتوباً باسلوب واضح بسيط
جداً ، يفهمه حتى الذين يكونون في حالة تعلم القراءة والكتابة
من الصغار ، ومن الكبار الاميين ، ويجب ان يوضع لمثل
هؤلاء ، واولئك ، في حكايات سهلة ، قصيرة ، جذابة ، محببة
الى نفوسهم . قلنا الصغار ونحن نعرف ما نقول ، ونعنيه
ونصر عليه ، فتعليمنا الصغار ، والكبار ، التاريخ العربي على
هذا الشكل يجب ان يكون مقدماً ، على تعليمنا اياهم ، اي
شيء آخر في حالتنا الحاضرة . وهو على الشكل الذي نرتأيه ،
سهل عليهم فهمه . مضمون في نفوسهم اثره ، مهما يكن من
شأنهم . ومن المفيد جداً ، بل مما لا غنى عنه في نظرنا ، ان
تكثر في التاريخ ، رسوم الوقائع والحوادث التاريخية :
العلمية منها والادبية ، والعسكرية والسياسية ، والحربية
والصناعية والزراعية ، وغير ذلك ، فان في هذه جميعها ، -
ومن دون ان نستعير او نزوّر - ما يمحو هذا الذل
والازدراء بالنفس ، المستوليين على العربي ، ولاسيا على الفلاح
والعامل والبدوي . وفيهما ما يسمو بالنفوس العربية ، التي اضنكها
الجهل والظلم والفقر ، عن مواطن الضعة والحقارة والوهن ،
ويخلق فيها احساساً باطنياً عميقاً مثيراً ، وشعوراً زاخراً ،

عنيفاً مهتاجاً، بعظمة الاجداد، وسمو نفوسهم، وباذخ مجدهم، وشديد صولتهم، وعلو مكانتهم من الحضارة والعلم، والسياسة والحرب، وما يُشعر بتفوقهم في قيادة الجيوش، وتدبير امور الرعية، واستصلاح الناس، وبمبلغ صبرهم على المكاره والشدائد، وشظف العيش من جهة، ومبلغ ايغالهم - في حالة السلم والاستقرار - في الترف، والتفنن في الاناقة والزينة ووجوه العيش المهذب الرفيع الناعم، من جهة اخرى. وفيها ما يثير الحنين الى هؤلاء الاجداد، والحماسة لهم، والمفاخرة بأننا منهم، والرغبة في الاقتداء بهم، مع مراعاة العصر الذي نعيش فيه ومراعاة مقتضياته. وان هذه الحقائق مجلوة بصورة علمية، واضحة بسيطة، وبوجه قومي محض، يكون من شأنها فوق ما تقدم، ان تصل ماضينا بحاضرنا - الامر الذي لا غنى عنه، لأمة تريد النهوض بعد الكبوة - وان تنعش الامل، في صدور ابناء الامة جميعهم، بمستقبل عظيم، وتقوي الرغبة عندهم في العمل لهذا المستقبل.

ولا يتوهمن احد، ان المقصود من هذا، انما هو مجرد مفاخرة بالاجداد، ومطاولة بالماضي القديم. لا. بل المقصود انما هو التدليل على ان الامة العربية، التي ندعو الى الاتحاد باسمها، والتعصب لها، لها وحدها، والى بعثها في صورة تتفق مع مقتضيات العلم والحضاره والقوة والعدل الاجتماعي في

القرن العشرين ، انما هي امة عظيمة مجيدة شريفة ، محسنة الى الانسانية جمعاء ، وان العروبة ، معدن هذه الامة ، من المعادن البشرية الكريمة ، ووجه من وجوهها المشرقة الخيرة ، فمن الخطأ - ان لم نقل من المروق والعار - ان ينكرها او يتنكر لها من ابنائها انفسهم ، اولئك الذين غرقوا في التمدن الغربي المعوج ، في القرن العشرين ، الى آذانهم ، واعمت الدعاية الملتوية بصائرهم ، فباتوا وهم لا يعرفون عن امتهم شيئاً ، ويجهلون عنها كل شيء ؛ والمقصود ان نفتح مسامع العرب عامة والفلاحين والعمال والبدو منهم خاصة ، وهؤلاء المتمدنين المتعلمين الجاهلين منا ، بنوع اخص - وجهل المتعلم اشد انواع الجهل خطرا وابعدها نكاية - المقصود ان نفتح مسامع هؤلاء جميعاً ، لصوت هذا الماضي العظيم الحي ، المنبعث من جوانب الحياة العربية كافة : من كتب التاريخ والعلم ؛ والادب ، والاخلاق ، والاجتماع ، ومن آيات الحضارة والهدى والعدل ، التي ما تزال مضرب المثل ، ومن اسفار المعارك ، والفتوحات ، والغلبة والنصر ، ومن بقايا الجامعات والقصور ، وآثار السدود والحصون ، ومن معالم الفن ، وقباب المعابد ، ومن دفقات الانهار ، واصطخاب البحار ، ومن القبور الدارسة ، والقبور الماثلة ، من سماء هذا الوطن العربي وارضه ، وبحاره ، عسى ان يسمعوا فيشعروا فيستيقظوا

فيعوا فيطمحوا ، فيهبوا الى الجهاد ، ويعملوا فوق مـا عمل الاجداد .

الوسيلة الثالثة

السينما : عرض هذا التاريخ بواسطة (سينما) على الجماهير العربية ، في المدن وفي القرى ، وفي منازل القبائل ؛ وفي روايات تجسد محاسن الامة ومآثرها ، ومفاخرها وامجادها ، وفروسيتها وبطولتها ، وانتصارات جيوشها . وتمثل حضارتها ومدنيتها ، وما افادت من العلم والعمل ، في الصناعة والزراعة والفن . وتمثل عظمة الأسر المالكة فيها وتواضعها ، وسموها ووداعتها ، وكرمها وحلمها ، وعدلها وعطفها ، وشدتها ولينها ، وسقطاتها ،التي ادت الى سقوطها ..

ولهذه لمناسبة نذكر على سبيل المثال ،حادثة وقعت منذ بضع سنين ، في « شرق الاردن » : (ان للشيخ فؤاد الخطيب رواية اسمها «فتح الاندلس» قام بتمثيلها ذات مساء، لفيف من شبان العرب في عمّان. وكان بين الذين شهدوا تمثيل الرواية ، فريق من البدو ، في مقدمتهم ، نفر من سادات قبائل « شرق الاردن » فاخذتهم الدهشة مما رأوا من مظاهر القوة في اجدادهم ، ومن الفروسية والبطولة ، ومن آيات المدنية والعظمة ، ومن وجوه

الثروة والزخرف ؛ وترف العيش . ثم استولت عليهم نشوة من الزهو والطرب والكبرياء ، فما شعر الحضور الا وايدي هؤلاء السادة على مقابض سيوفهم العربية ، يدقون برؤوسها مغمدة ، ارض القاعة ويهتفون ، ويصيحون عالياً ؛ وما ان انتهى التمثيل وانفرط عقد المجتمعين ، حتى هرعوا الى الشيخ فؤاد ، فحبسوه في حلقة منهم ، واخذوا يسألونه بلهفة عما فعل الدهر بهذه الامة ثم يقولون : اهكذا كنا ، أأولئك آباؤنا واجدادنا ؟!

وكانت في عمان قضية - نضرب صفحاً عن ذكرها هنا - يتنازع من اجلها فريقان ، احدهما الفريق الذي كانوا يسمونه « الوطنيين » ، وهم الذين يشتغلون للاستقلال والوحدة ، وبنيان مستقبل يفوق ذلك الماضي ، وكثرتهم يومذاك - ان لم نقل كلهم - من رجال العرب غير الاردنيين ، والاخر الفريق الذي لا يُعنى من الامور العامة الا بما يتفق مع مصلحته وهواه ... وكان هؤلاء السادة من زعماء البدو ، وهم من ذوي الشأن في شرق الاردن ، حائرين : أفي جانب فريق الوطنيين هذا ، يقفون ، ام في جانب الفريق الاخر ، وهذا الفريق الآخر من ذوي السلطة وارباب الحكم ؟! فما ان تنفس صبح تلك الليلة ، حتى سارع **الذين ايقظت رواية « فتح**

الاندلس » في نفوسهم دم العزة والنخوة والقومية ، الى فريق الوطنيين ؛ واعلنوهم وقوفهم في جانبهم !!

لقد حدد لهم « فتح الاندلس » في ليلة واحدة ، موقفهم. لقد رفعت صفحة واحدة ، من صفحات تاريخهم ، نفوسهم ؛ فانقذت شرفهم ، وسمعتهم ، ونفعت بهم قومهم .

الوسيلة الرابعة

الخطب والمحاضرات : اختيار الحكومات والاحزاب فريقاً من المحاضرين والخطباء **المقتدرين المؤمنين** ، يدورون على مختلف **المدن والقرى والمخيمات** ، كاللجـــان التعليمية ؛ ويعنون بنوع خاص بالفلاحين والعمال والبدو ، يلقون عليهم المحاضرات والخطب ، بلغة بسيطة سهلة مفهومة من الجميـــع محصورة مواضيعها فيما يلي :

اولا — تاريخ الامة العربية.

ثانياً — ربط ماضي الامة بحاضرها ومستقبلها.

ثالثاً — واجب الفرد نحو امته، وحقه عليها في هذه الحياة.

رابعاً — الحياة الاجتماعية.

خامساً — الحياة الزراعية وقيمة الفلاح العارف واجبه.

سادساً — الحياة البيتية . — او العائلية .

سابعا ـ المصلحة الفردية والمصلحة العامة ، وعلاقة كل منهما بالاخرى .

ثامناً ـ حق الفرد على الدولة ، وحق الدولة على الفرد .

تاسعاً ـ العمل القومي وصلته بالعمل الانساني .

عاشراً ـ ما ينتظر العرب جميعاً، من القوة والعز ،وراحة العيش ، اذا هم اتحدوا وتثقفوا ؛ وما الى ذلك من مواضيع. على ان تساق هذه المحاضرات والخطب ، سياقا يضمن في الدرجة الاولى رفع مستوى الفلاح(١) الاجتماعي والمادي والادبي ، فيفهم ليس فقط كيف يستنبت ارضه ،ويستغلها ، بكل ما يمكن واحسنه من الطرق الحديثة ، بل يفهم ايضا ـ وهذا أمر كبير الاهمية جداً ـ انه يستطيع ان يعيش ، ويحق له ، ويجب عليه ان يعيش ، عيشا نظيفا مرتبا محترما نافعا . سياقا يهذب في نفسه حاسة الذوق ، ويرقيها ، ويُشعره انه ليس كمية مهملة محتقرة ، ولا عوداً منبوذاً ، ملقى في الطريق ، بل هو غصن حي قوي ، في شجرة عالية ، عظيمة جبارة ، تختال ،او يجب ان تختال باغصانها ـ وهو احد هذه الاغصان ـ قوة وزهواً وازدهاراً . وانه ذو « شخصية »

(١) الفلاح والعامل والصانع والبدوي ، ونكتفي بذكر الفلاح باعتبار انه يمثلهم بصورة اجمالية جيداً .

يشعر بها ، ويجب عليه ان يحترمها ، لكي يحترمها الغير . فشعور الانسان « بشخصيته » واحترامه هذه الشخصية ، اول شرط من شروط انطباع الفضائل في نفسه ، وفهمه المصلحة العامة ، وقيامه بواجبه نحو المجتمع القومي ، الذي يعيش فيه ، ثم نحو المجتمع البشري عامة . ويضمن في الدرجة الثانية خلق الثقة في نفوس افراد الامة ، بعضهم في البعض الاخر ، وخلق حس" باطني عندهم ، بانهم ، مع كون كل واحد منهم « شخصية » متميزة عن « شخصية » أخيه ، فانما هم كاوراق الكتاب ـ اذا صح هذا التشبيه ـ منفصلة كل واحدة منها عن الاخرى ، متصلة بها ، اتصالا محكما مستمراً. ومتى تم هذا ، مشينا الى الامام ، بخطوات سريعة واسعة ثابتة ، الى غايتنا البعيدة العليا.

الوسيلة الخامسة

الاندية : تنظيم الشباب العربي من ذكور واناث ، وانشاء اندية لهم ، في المدن وفي القرى ، ذات نظم معينة ، يضمن تطبيقها مع ما سبق من الوسائل ، خلق رأي عام موزون ، في العرب ، ويحدد اتجاهات هذا الرأي ، في مختلف المناسبات والحوادث الخطيرة ، من دون تردد ، ولا ترجرج ولا حيرة. ويكون لكل ناد ، مكتبة وراديو وملعب ، على ان ترتبط

هذه الاندية في كل قطر ، بمرجع واحد ، وتجري عليها كلها مراقبة واحدة عامة. ويتفرع منها فروع للصغار، يندمجون في عضويتها، حينما يبلغ الواحد منهم السادسة من عمره ، تحت ادارة لجنة مختصة . ويحسن ان تشرف على سير هذه الاندية، الحكومات العربية متفقة ، ان أمكن ، والا فيشرف عليها بعض هذه الحكومات ، او احداها ، او هيئة ترضاها هذه الحكومات ، او اكثريتها ، او اقليتها ، او احداها ..... الى ان تنشأ الدولة العربية الاتحادية الواحدة، فيهيمن مجلسها على هذه المؤسسات والاعمال جميعها ، ما ذكر منها وما سيذكر .

الوسيلة السادسة

العمل الجبري والحكومات : فرض العمل الجبري للمصلحة العامة ، ويكون ذلك باصدار الحكومات العربية قانوناً خاصاً بالعمل ، يفرض على كل من يبلغ السنة الثانية عشرة مثلا، فما فوق - الى سن محددة - ان يؤدي خدمة عملية لبلاده ، في خلال مدة معينة . وينبغي ان يكون الذين يتمتعون بثروة او نفوذ او جاه في مقدمة الذين يطبق عليهم هذا القانون ، ليصدر العمل عن شعور بالمساواة التامة في

الواجب القومي ، ورغبة وسرور في الخدمة العامة ، وبحماسة واندفاع ، فيتألف من هؤلاء جميعاً جيش لا يستهان به ، يلقن بصورة علمية قومية منظمة واضحة ، تلقيناً دورياً مرتبا انه انما يعمل ، لشرف بلاده الذي هو شرفه ، ومنفعة بلاده التي هي منفعته . فيصبح كل فرد يزاحم اخاه بلذة ومباهاة ، في هذا العمل الانشائي القومي العام ، اما هذا العمل الجبري فيصرف :

اولا — في تعليم الاميين وتثقيفهم اينما وجدوا ، وبنوع خاص في القرى والمزارع .

ثانياً — في انشاء الطرق العامة وتعبيدها ، وغرس الاشجار على جوانبها ، في المدن والقرى والمزارع .

ثالثاً — في بناء السدود والجسور ، واصلاح مجاري المياه .

رابعاً — في انشاء المباني والملاعب والحدائق العامة .

خامساً — في التحريش والعناية بالغابات .

سادساً — في مساعدة الفلاحين على ترتيب حقولهم ، وتنظيفها من الاشواك ، والنباتات الضارة بالزرع والاغراس . ومساعدتهم في الزرع وفي الحصاد . الى آخر ما هنالك ، من مثل هذه الاعمال العمرانية والزراعية والاجتماعية عامة . لان اجتماع مثل هذا الجيش من مختلف الطبقات ، وتنقله من مكان الى مكان ؛ في مختلف مناطق البلاد ؛ حسب ما

تدعو اليه الحاجة في كل منطقـــة ؛ مدرسة قومية اجتماعية جزيـــلة النفع . عظيمة الاثر في النفوس (١) . وغني عن البيان؛ ان هذا الذي ذكرناه بشأن اكتمال «الوعي القومي» يجب ان يسري على الفتيان والفتيات معاً . على اساس القابلية والاستطاعة . ولا نكتم اعتقادنا ان عشر نساء مثقفـــات؛ يكتمل في نفوسهن «الوعي القومي» ، يستطعن ان يصلحن في الامة، ويرفعن من نفوس افرادها، ويدفعنها الى الوحدة والى السمو والطموح، اكثر من مائة رجل يكتمل في نفوسهم هذا الوعي.

وان القوميين العرب المؤمنين ؛ من شبان وشابـــات قلوا ام كثروا ، في كل قطر من الاقطار العربية ، لمستعدون استعدادا تاماً للاخذ بهذه الوسائل . والمساعدة على الاخذ بها – على قدر ما يتيسر لهم – في ايمان وعلم وحمـــاسة ولذة وانشراح . وهناك وسيلة اخرى قد تبدو غير ذات شأن ؛ ولكنها في الواقع ذات شأن كبير . والذين يلمون بشيء من علم الاجتماع وعلم النفس ،يشعرون شعوراً صادقاً ، بل يعتقدون اعتقادا مثبتاً بالتجـــارب ، باهمية هذه الوسيلة ، ومدى تأثيرها في النفوس . وهي : (**تغيير الاسماء الاعجمية واتخاذ اسماء عربية بدلا منها** ، يصار الى ذلك بواسطـــة

---

(١) لقد لجأت حكومات في الغرب الى مثل هذه التدابير فأتت بنتائج باهرة.

قانون تضعه الحكومات لهذا الغرض .) ويشمل ذلك اسماء الاشخاص. والارضين والجبال والسهول والاودية. والانهار والبحيرات والمدن والقرى والمزارع . والشوارع والمحلات وكلما يقع تحت الحس . هذه هي الوسائل في نظرنا ،لاكتمال « الوعي القومي » ، بالمعنى المتواضع عليه اليوم ؛ في نفوس العرب، وعلى الوجه الذي بيناه. وقد يكون هناك وسائل يكشف عنها الشروع في التنفيذ . الواحدة بعد الاخرى . فتأخذ بها الحكومات والاحزاب معاً ، الى ان تقوم الدولة العربية الاتحادية الواحدة فيـــأخذها المجلس الاتحادي تحت رعايته وتستمر قائمة فعالة على مسئوليته الى ما شاء الله .

س -١٩ - ان هذه الوسائل اذا عمل بها تكون مضمو نة النتيجة عظيمة الفائدة من غير شك . ولكن التوسل بها يقتضي كثيراً من المال فمن اين يؤتى بالمال ؟

ج - - . . . .

●

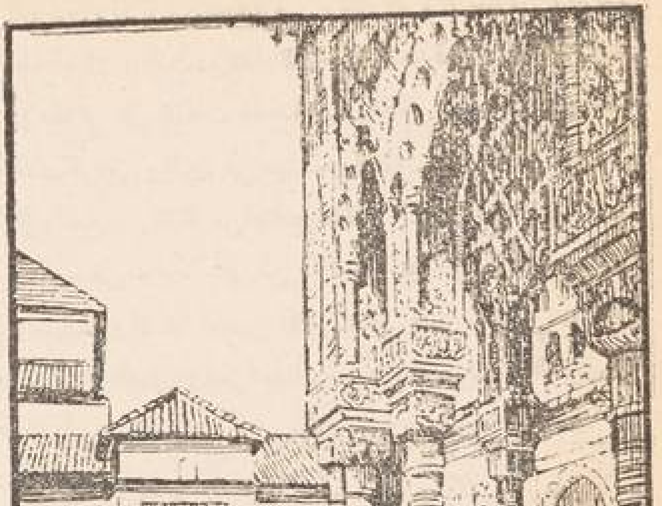
اننا نعتقد ان معرفة العرب ، معرفة جماعية لتاريخهم ، شرط اساسي مهم جداً ، للوعي والايمان؛ وعامل قوي فعال لانشاء دولتهم الاتحادية الواحدة ، بالسرعة التي تفرضها مصلحة الوطن العربي .

س -٢٠ - من هو الذي يجب ان يتولى كتابة تاريخ الامةالعربية؟

ج - - لا يمكن لفرد ، ان يقوم بمثل هذا العمل الخطير ، كما نتصوره ، وكما يجب ان يكون ، ولا بد من تأليف لجنة من العرب **الصرحاء** لهذا الغرض . وفي رأينا ، انه من الضروري جداً ان يشترك في هذه اللجنة اشخاص من مختلف الاقطار العربية ، يكون بينهم بعض السيدات المثقفات . على ان تؤلف اللجنة - على وجه التقريب - كما يلي : ثلاثة من السياسيين القوميين يدركون أسرار السياسة، ومدى اغراضها

البعيدة. وثلاثة من علماء النفس والتاريخ والاجتماع. وثلاثة من علماء الاثار، واثنين من علماء اللغة، وثلاثة من فحول الادباء الواسعي الاطلاع على ثقافات عديدة . وثلاثة من القواد والخبراء العسكريين. واثنين من مهندسي البناء . واثنين من المهندسين الزراعيين. وثلاثة من الفنانين المثقفين النابغين، في الرسم والنحت والموسيقى ، او اكثر من ذلك او أقل، ويكون لهم معاونون ومستشارون أذا اقتضى الامر ، على قدر ما تقضي به الحاجة الى اتقان العمل، واخراجه أقرب ما يكون الى الكمال .

ويجب ان يجتمع لدى اللجنة ، أفضل وأصح ما كتب باللغة العربية ، وغيرها من اللغات الحية ، من كتب تاريخ الامة العربية ، منذ ان عرف تاريخ العرب حتى يوم الناس هذا . وعلى اللجنة ان تطوف ، او يطوف فريق منها بالاقطار العربية كافة ، وبالبلدان التي فتحها العرب ، واستوطنوها مئات السنين ؛ ولم تعد عربية ، كأسبانية ، والبورتغال ، وفرنسة ، وايطالية وسويسرا . ثم كبلاد فارس «ايران» وافغان ، وتركيا والهند ، وسائر البلدان التي بسط العرب سلطانهم عليها او على قسم منها ، ونشروا الحضارة والعدل والهدى فيها ، كثيراً او قليلا من الزمن . وذلك للبحث والتنقيب والاستطلاع ، واستنطاق الاثار ، فأن للمشاهدة



ساحة الاسود بقصر الحمراء في غرناطة - الاندلس -

روعة في النفس واثراً، لا يتفقان للمطالعة او للسماع او التصور.

وبعد ان تفرغ اللجنة من عملها هذا العظيم، تتألف لجنة جديدة، اقل عدداً، او يُقتصر على نفر من اللجنة نفسها، يعتبر لجنة جديدة، تستخرج من التاريخ العربي العام: **التاريخ القومي العربي القصصي المصور**، تضعه في حكايات صغيرة مصورة، بلغة سهلة واضحة، واسلوب جذاب، محبب الى النفوس، يوضع بين ايدي التلامذة والطلاب، حلقات متسلسلة، ويعتمد عليه في تعليم الاميين أيضاً.

س - ٢١ - ان هذا العمل وحده عمل ضخم جداً يقتضي كثيراً من النفقات، فمن اين يؤتى بالمال للانفاق عليه، ومن يتولى عملية الانفاق ؟!

ج - - لقد عدنا الى قضية المال... وانها في الواقع لقضية خطيرة، على اننا سنجيب هنا عن هذا السؤال، من دون تردد، وفي صراحة؛ ان هذا العمل الضخم الجليل، من اقوى الاركان التي قررنا ان «الوعي القومي» يكتمل بواسطتها، ولا يقدر العرب، ان يكسبوا قضيتهم كاملة، ما لم يكتمل هذا الوعي في نفوسهم، وفي ذلك مصلحة للوطن العربي كله، لكل قطر من اقطاره على السواء؛ فالجواب الذي يتبادر الى الذهن، انه من المفروض اذن، ان يؤتى بالمال من الدول العربية

كافة ، كل دولة بالنسبة الى ميزانيتها ، وان تتولى عملية الانفاق على العمل ، لجنة مؤلفة من وزراء المالية والداخلية والخارجية في هـذه الدول . ولقد كان هـذا الجواب يكون معقولاً ومضبوطاً ، لو كانت هـذه الدويلات متساوية في فهم قضية العرب ، ومصلحة الوطن العربي والرغبة فيها والعمل لها .

اما ونحن نعلم ان الحال ليست كذلك ، ويا للاسف ، فيجب ان نجابه المسألة بصراحة وحزم ، ومنطق صحيح ، ليكون جوابنا جوابا يرضاه العقل ، ويقتنع بـه . ويقره « الوجـدان القومي » ويرفع الصوت من اجله . فلا يرى لاصحاب الشأن في الامر ، عذراً في الانصراف عن تطبيق ما فيه . وعلى هـذا نقول : ان بين الدول العربية القائمة الان ، دولتين اثنتين[1] – مع احترامنا للباقيات – من المفروض ان يخولهما واقع الحال ، حق الادعاء انهما تفهمان القضية العربية ، ومصلحة الوطن العربي ، وترغبان في هـذه المصلحة وتعملان لها ، او تستطيعان العمل لهـا ، اكثر من غيرهما ، لاسباب : منها : الوضع السياسي والوضع العسكري ، والوضع المالي والوضع الثقافي ، وكل واحدة من هاتين الدولتين تدعي في الوقت نفسه او تضمر – على الاقل – الدعوى ، بانها زعيمة

(١) كان هذا يوم كتبنا هذا الكتاب اي بين سنتي ١٩٣٩ – ١٩٤٤

الوطن العربي؛وهاتان الدولتان هما: (الدولة العراقية والدولة المصرية) . (١)

ونقصر الكلام في هذا الصدد الان ، على هاتين الدولتين حتى اذا تحقق الامل فيهما او في احداهما ، وبدأتا او بدأت احداهما السعي الجدي ، لتحقيق هذا العمل القومي العظيم ، فلا يطول الامر ، حتى تساهم بقية الدول العربية في العمل ، والا اساءت الى نفسها ، وكان للعرب معها شأن ..

---

(١) قد تكون الدول العربية كلها تفهم القضية العربية ومصلحة الوطن العربي ، ولكنا اشترطنا مع الفهم ، الرغبة في العمل والقدرة عليه ، ولعل هناك قطراً بعينه اختمرت هذه القضية في نفسه اكثر من اختمارها في نفس اي قطر آخر ، وهو يرغب في « كسبها » اكثر من اي قطر آخر ولكن ظروفه دون ظروف غيره ملائمة وموآتاة . ولم لا نقول انه القطر الشامي !

حاشية : كتبنا هذا الكتاب يوم لم يكن هناك « جامعة دول عربية » ولم نحب ان نغير فيه شيئاً ،ليبقى صورة صحيحة ناطقة لما كان يخالج عقلنا وفكرنا ونفسنا يوم كتبناه . اما الآن ، وبعد تجربة جامعة الدول العربية ، من جهة، وبعد ان حدث من جهة اخرى ؛ احداث خطيرة في الوطن العربي ، زادت في قوة ايماننا بالاتحاد ، ودلت على صواب رأينا فيه، وعلى ضرورة الاسراع في الاخذ بهذه الوسائل لانشائه ، فانا نستطيع ان نضيف الى هاتين الدولتين دولة ثالثة هي الدولة السورية ، او الشامية .. فقد صار القطر الشامي في ظروف هي اكثر موآتاة وملائمة من ظروف مصر، مثلا ، للعمل الجدي الحاسم على كسب قضية العرب كاملة ، اي على انشاء الدولة الاتحادية العربية الواحدة .

قلنا ان الدولتين العربيتين الوحيدتين اللتين يخولهما الواقع اليوم ، حق الادعاء ، انهما تعملان لمصلحة الوطن العربي ، او تستطيعان العمل لهذه المصلحة ، هما الدولة العراقية والدولة المصرية ، وان كلا من هاتين الدولتين ، تدعي ، او تضمر الدعوى ، انها زعيمة هذا الوطن كله ، ونحن لا يطربنا ، ولا يرضي مطامحنا القومية ، مثل ان تصح هذه الدعوى وتثبت ، ويصر صاحبها ، عليها ، حتى النهاية ؛ لما ينشأ عن ذلك ، من حقوق وواجبات ، تترتب لهذا الوطن على صاحب هذه الدعوى ، ولصاحب هذه الدعوى على هذا الوطن . (١) وعلى هذا ، فان هاتين الدولتين العراقية والمصرية ؛ هما اللتان يجب ان تشرعا في استعمال الوسائل التي تكلمنا عليها ؛ وتأليف اللجنة التي قلنا بضرورة تأليفها ؛ وباسرع ما يمكن ، لكتابة التاريخ العربي . وان تنفقا عليها . وتشرفا على اعمالها . وتقدما لها كل ما تحتاجه ، لاتمام هذا العمل الضخم الجليل المثمر ؛ من مساعدات مادية وادبية على اختلاف انواعها . واذا فعلتا ؛ ونرجو ان تفعلا ؛ فان بقية الدول العربية لا غنى لها عندئذ .

---

(١) ما اجدر الدولة السورية او الشامية اليوم ، بان تدعي هذه الدعوى وتدلل على صحتها عملياً ، بان تفرض الدولة الاتحادية العربية الواحدة ، بطريقة من الطرق ؛ فيجل التاريخ اسمها « بروسيا العرب » على اننا نرحب بكل دولة عربية تنتزع ، بحق ، هذا اللقب وتباركها ، ونقدسها ايضاً .

عن المساهمة في العمل على قدر استطاعتها .

فائدة كل قطر

وغني عن البيان ، ما يستفيده كل قطر من الاقطار العربية كافة ، من هذا العمل . من دون ان يتعرض ، اي قطر ، لاي ضرر ، من اية ناحية . لا سيما ، وسيكون من دستور عمل اللجنة ، ابراز فضائل كل قطر – باعتباره جزءاً ، من الوطن الكبير . وطن هذه الامة الواحدة ، لا يتجزأ – . وامجاده العلمية والفنية والسياسية والحربية . ومبلغ ما بذله من جهود في تكوين الفضائل العربية العامة . والامجاد العربية العامة . وفي تكوين الملك العربي القديم الباذخ الضخم . المحسن الى الحضارة العالمية . والى العنصر البشري كافة . وسيكون من دستور اللجنة ايضاً – طبعاً – الكياسة في الكلام على هذه الاقطار كلها . قبل الفتح العربي الاخير الكبير . وفي اثنائه ، وبعده . حرصاً على العواطف ، وتمكيناً لاواصر القربى القومية . على ان يكون ذلك في اتساق وانسجام . يضمنان المحافظة الدقيقة على سلامة الضوابط القومية العامة .

س – ٢٢ – أيمكن ان تستقل الدولتان المصرية والعراقية بهذا العمل ؟ (١)

ج – – لو كانت الدول العربية تشترك كلها ، دفعة واحدة، في هذا الامر وتتعاون عليه ، لكان ذلك افضل واجدى . اما وهذا ليس ممكناً الان – وليتنا نكون مخطئين – فلم يبق ، الا ان تستقل الدولتان العراقية والمصرية بالعمل في بادي الامر . نعم ، لم يبق الا ان تعمل هاتان الدولتان منفردتين متفقتين . بهذه الوسائل التي ذكرناها . بالنظر الى اسباب اوردنا بعضها . ومن البديهي القول ، انه يجب ان يتعاون معها الاحزاب والافراد – ولا سيما الاغنياء – في البذل بواسطة التبرعات والاشتراكات الشهرية او السنوية . فاذا لم يندفع الافراد والاحزاب ، ولاسيما الاغنياء، الى القيام بواجبهم، حق للدولة ، بل وجب عليها ،ان تدفعهم هي دفعاً . . . واذا كان لبقية الدول العربية ، شيء من العذر اليوم ، في الاحجام عن مثل هذا العمل، فان الدولتين المصرية والعراقية ينقطع لديها ، كل عذر ،اذا هما احجمتا عنه .

على ان هذا ، لا يعني ،ان هاتين الدولتين ، ليس من

(١) بدأنا كتابة هذا الكتاب في اواخر شهر آب من سنة ١٩٣٩ وفرغنا من كتابته في المنفى ، قبل نهاية الحرب العالمية الثانية بقليل ، فالرجاء ان لا ينسى القاريء الكريم هذا الامر .

الواجب عليها مكاشفة بقية الدول العربية بهذا الامر ، وبغيره من الامور التي تفضي الى استكمال « الوعي القومي » وانشاء الكيان العربي الموحد ، او الدولة الاتحادية الواحدة ، بل يعني ، انها ، سواء ارضيت هذه الدول الشقيقات ، بمشاركتها الان في العمل ، ام لم ترض ، يجب عليها ، ان تشرعا في العمل ، وتمضيا فيه حتى النهاية . ومـا نشك ، في انهما ملاقيتان في الشعوب العربية كافـة — الامة العربية — التأييد والمعونة ، بتحمس واندفاع وعرفان للجميل ، عـدا الحب والطاعة والاجلال .

فاذا هما لم تتفقا على ذلك — لا سمح الله — يصبح من الواجب المحتم ، على دولة بعينها ، من هاتين الدولتين ، ان تشرع في العمل ، وتمضي فيه تدريجياً ، بالاتفـاق مع رجالات العرب المؤمنين المخلصين ، اينما كانوا ، وبالطرق التي يُتفق على انها اكثر ملاءمة وجدوى ، وهـذه الدولة ، هي الاكثر دعوى لزعامة الوطن العربي ، والاكثر احتكاكا في هـذا العهد بالشعوب العربية ؛ والاكثر تمثيلاً للحضارة العربية والامجاد العربية(١) .

(١) هذه الدولة كانت يوم كتبنا هذا الكتاب ، الدولة العراقية في نظرنا ، وفي نظر القوميين العرب ؛ لاننا كنا نعتقد انها هي وحدها ، من بين الدول العربية ، في ذلك الحين ، التي تهيء نفسها لتكون بروسيا العرب..

نظريات

•

اننا نعلم ان بين الذين سيطلعون على كتابنا هذا ، اناسا سيقولون (انها نظريات جميلة. ولكنها على كل حال نظريات.) يريدون بذلك ،ان هذا الذي نفكر فيه،وندعو الى العمل به، لاكتمال « الوعي القومي » ، في نفوس العرب ، وبالتـــالي ليصير في استطاعتهم ، انشاء كيان لهم قومي عربي موحـد، او دولة اتحادية واحدة، اسوة ببقية الامم الحية المحترمة، ذات الوزن في حياة العالم ، انما هو مجرد خيـال لا يمكن تحقيقه عمليـــاً ، فالعرب دون ان يحققوا مثل هذا الامر الخطير ، وهؤلاء الناس فريقان ـ فريق متخدر الشعور ساقط الهمة، سادر مستهتر ؛ الحياة عنده محصورة ضمن نطاق من المادة ، وقل البهيمية ان شئت ، يكاد لا يتعدى الأكل والشرب والملبس والنوم وشيئاً آخر ... ولا يتصل بمعنى من معاني السمو ، والمثل العليا ، وهذا لا شأن لنا معه، وفريق مثقف،

راجح العقل ، سامي الهدف ، شديد العناية بقضية العرب ، مخلص لها ، ولكنه متشائم ، متشائم لكثرة ما منيت به هذه القضية ، من النكبات والخسران ، ولقلة ما يراه في اهلها والعاملين لها ، من ذوي العزم والتضحية والثبات ، فالى هذا الفريق الكريم ، سواء أكان على خطأ ام على صواب ، نسوق كلمة في « النظريات » .

ان كل عمل ، تحقق في هذه الحياة ، منذ ان عرف العلم تاريخ البشر ، فيما نعلم ، حتى الان ، كان « نظرياً » قبل ان يصبح عملياً ملموساً . وكل امر ، ما دام على الالسنة وعلى الورق ، فهو « نظري » الى ان يتاح له أولو عزم ، وتتهيأ له الاحوال ، فما هي الا برهة من الزمن ، حتى يصبح عملياً ملموساً ، يسيراً خطبه ، هيناً شأنه . وعندنا ان النظري المطلق ، انما هو الشيء الذي لا يمكن تطبيقه في حال . فمن ذا الذي يتحمل من العرب ، تبعة الجهر باستحالة تطبيق « نظرياتنا هذه » ؟ !

قد يكونون على صواب ، اذا هم لم يتعدوا القول ، بان ما نفكر فيه ، وندعو الى العمل به ، امر غير هين ، او صعب ، فنقول لهم عندئذ ، ما قاله شاعر الفلاسفة ، وفيلسوف الشعراء صاحبنا ابو العلاء ، منذ اكثر من الف سنة :

واني رأيت الصعب يركب دائماً
من الناس من لم يركب الغرض الصعبا

ولهذه المناسبة ، نحب ان نسأل الذين لا يرون رأينا من أهل العلم والعقل ، والكرامة والاخلاص، عما كان يمكن ان يقولوه في هذه الاختراعات التي نراها ونلمسها اليوم ، فيما لو تكلم عليها احد من الناس منذ ٥٠ سنة او اكثر او اقل ، كالطيارة مثلا والغواصة والراديو وما الى ذلك (١) . وان نذكر لهم على سبيل المثال ، ان الغواصة هذه ، التي أصبحت عاملا قويا ، من عوامل تثبيت دولة وتهديم دولة ، والتي يتحدث عنها الناس اليوم ، اكثر من تحدثهم عن شؤونهم الخاصة ، كانت شيئاً «نظرياً» في رأس كاتب قصصي مشهور؛ فيما اتذكر اني عثرت في بعض مطالعاتي ، بأنه في سنة ١٨٦٥ ألف الكاتب القصصي الفرنسي (جويل فرن) قصة عنوانها فيما اذكر ، (عشرون الف فرسخ تحت البحر) تخيل فيها مركباً يسير تحت المياه ، يرى ولا يُرى ، ولم تمض برهة من الزمن، حتى تحقق خيال هذا الرجل، واصبح الشيء «النظري» عملياً «ملموساً» : غواصة تحمل الموت والحياة .

وبعد هذا وذاك ، فاننا نكتب الى امة تدعي انها تنشد

(١) لم تكن الطاقة الذرية قد اشتهر امرها يوم الفنا هذا الكتاب .

الحياة بل « تنشيء الحياة (١) » واكثر ما تظهر دعواها هذه على ألسنة المثقفين ، واقلامهم ، من رجال المنابر والاقلام والسياسة ، ومن رجال الحل والربط والسلطـــان ... من ابنائها انفسهم ، امة شديدة الحيوية ، كما نعتقد ، فيها سر من اسرار العبقرية ، دللت عليه فيما غبر من الزمان ، بما اتته من عظيم الاعمال ، وحققته من واسع الفتوحات ، في يسير من الزمن ، وبما نشرته من علم وحضارة ، ومدنية ، وهدى ، وحرية ورخاء . وتدلل عليه اليوم في محنتها ، باحتفاظها بلغتها وادابها وتقاليدها وكثير من خاصيتها ، وبما يكمن فيها من حيوية ومناعة ، حالتا دون فنائها ، رغم ما نزل بها من كوارث ونكبات . ورغم هذه المئات من السنين التي مرت عليها ، وهي تتناوشها ايدي الفاتحين والمستعمرين من جهة ، وفئة من المفسدين المجرمين المارقين ، من ابنائها انفسهم من جهة اخرى ، توغل في النكاية بها ، وفي تمزيق اوصالها ، وافساد اخلاقها ، وتحكيم الفقر والجهل والتفسخ في مواطنها ، ومحاولة قطع الصلة قطعاً تاماً – لو تستطيع – بينها وبين ماضيها ، بما لو وقع مثله لغيرها من الامم ، لاندثرت ولم يبق لها من اثر .

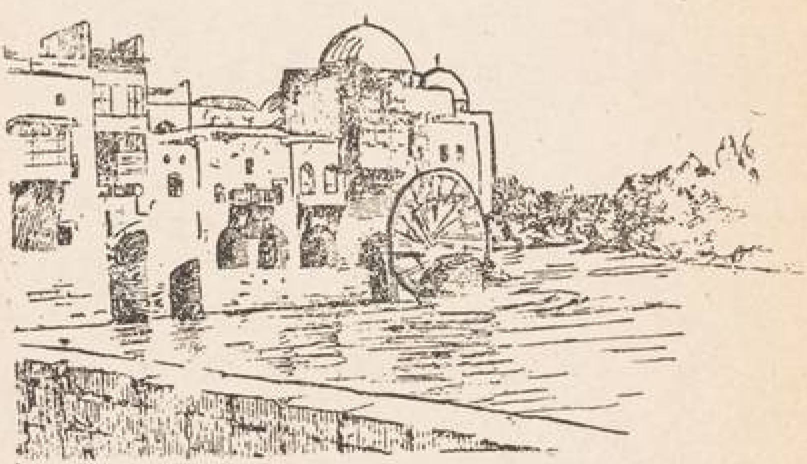
اننا نكتب الى امة بدأت تشعر بوجودها ، بعد طويل

---

(١) امة تنشيء الحياة وتبني كناه الابوة الامجاد «شوقي»

غفلة . وتدرك عظم الخسارة التي مُنيت بها ، ومُني بها العالم كله ، منذ ان ذهبت دولتها ، وخبت انوار العلم والحضارة والمجد ، في ربوعها ، وهوى عرش سلطانها ، ثم أخذت تتحفز للوثوب من جديد وثبة ، نرجو ان تدلل بها ، على انها ما تزال خليقة بتراثها المجيد ، وانها قادرة على تحقيق هذه «النظريات» فلا تنفك عن معالجة قضيتها ، حتى تستقيم هذه القضية كما ينبغي وكما تريد ، او تبيد . ولن تبيد (١) .

(١) ان نقطة الانطلاق الى التدليل على ان هذه الامة خليقة بتراثها المجيد ، وبان يكون لها في عالم اليوم ، شأن ومنزلة ، هي قبل كل شيء ، في انشاء الدولة الاتحادية ؛ والثأر الذي ليس سواه يمحو عنها عار نكبتها في فلسطين.



احدى نواعير حماه

تحديد قضية العرب

•

ان في نفسنا يقينا ما يخامره شك بان العرب، اذا هم كسبوا قضيتهم ، واعـــادوا الى الوجود سلطانهم ، في دولة اتحادية واحدة - وسيفعلون - سيكونون في طليعة امم الدنيا كلها ، عملاً صادقاً مخلصاً مجدياً ، لخير الانسانية ، وهيمنة المثل العليا على ابنائها ، افراداً وجماعات واماً ودولاً .

س - ٢٣ - ما هي قضية العرب . وكيف نحددها ؟

ج - - لقد كتب في « قضية العرب » فريق غير قليل من الناس ، بلغات مختلفة ، وهي وان تكن واضحة ، مـا تحتاج الى كبير عناء ، ليفهمها من يريد ان يفهم القضايا الحق ، فاننا مـا نزال نسمع حتى الان ، ناساً ، الغريب ان بعضهم من العرب انفسهم يسألون : ما هي قضية العرب ؟ ومـا ندري ، أعن جهل منهم بهذه القضية ، ام عن تجاهل ومروق واستخفاف

يسألون ؟! ومهما يكن من امر ، فاننا سنجيب عن هذا السؤال، ونحدد هـذه القضية تحديداً واضحاً، من وجوهها المختلفة ، لن يبقى معه « قاض » منصف ، في الدنيـا كلهـا ، الا « ويحكم » بانها قضية حق ، ولن يبقى عربي في الدنيـا كلها ، الا ويعمل ليكسب قومه هـذه القضية ، الا ان يكون متهما في نسبه ، او في عقله وفهمه ، او في كرامة نفسه .

إن قضية العرب هي قضية تراث مجيد ضخم (١) ، كانت تستفيد منه امم الدنيا كلها ، وليس العرب وحدهم ، وسلب الاعاجم العرب هذا التراث، ـ وكان ذلك يقع احياناً ـ بمساعدة فئة من العرب ، سمها خائنة ان شئت ، او ضعيفة او جاهلة او ما تشاء ، في غفلة من الزمن ، او من الامة نفسها ،وانقضى على هذا عهد طويل جداً ، واصحاب الحق في هذا التراث ، لا يسألون عنه ، لان الذين سلبوهم اياه، كانوا يخدرون اصحابه، بانواع المخدرات جميعها ، ويحتاطون من بعيد ومن قريب ، لاستمرار مفعول هذه المخدرات، بمختلف الوسائل والاساليب؛ لكي لا يستيقظ اصحاب هذا الارث يوماً ، ويشعروا بعظم

(١) يلاحظ القارىء اننا لا نؤرخ للقضية ، وانما نشرحها ، لنقربها الى افهام الذين لم يتيسر لهم ان يفهموها حتى الان ، ولا ان يعرفوا كيف نفهمها، لعلهم بعد هذا يفهمونها فيطمئنون فيؤمنون . واذا ما عرضنا للتاريخ في سياق الكلام ، فانما لهذا الغرض نعرض له .

خسارتهم ، فيندفعوا الى العمل لاستعادة تراثهم هـــذا ، من ايدي الغاصبين . ولكن العرب ، احفاد اولئك الذين خلفوا هـذا التراث ، قـــد استفاقوا بعد مئات السنين ، لسوء حظ الغاصبين وشركائهم ، وبدأوا يشعرون بما يجب ان يكون لهم من وزن ، في هذه الحياة الدنيا ، وبحقهم في تراثهم القديم المضاع ، وواجبهم في العمل لاسترداده ، واحيائه ، وانمائه .

اما هذا التراث المجيد الضخم ، فهو تراث من العــلم ، والحضـــارة والمدنية . ومن الاخلاق . ومن الثراء . ومن الوحدة في الثقافة ، وفي الارض ، وفي الاهداف ، وفي الحكم . ومن القوة والمجد ، المجد بشتى وجوهه وصوره ، المجد العلمي والمجد الادبي ، والمجد الحربي ، والمجد السياسي . هو مجموعة من الفضائل القومية والعظـــائم . ومن عناصر التفوق والسمو ، روحياً ومادياً . والعرب ـ وقد استيقظوا وتنبهوا ـ يريدون استرداد هذا كله ، واحياءه ، وانمـــاءه ، والتمتع به ، ونفع الناس بما فيه ، من حسنات ومن خيرات .

« هذه هي قضية العرب »

وحينما نعمل لاستعادة هذا التراث ، من بين شدقي الدهر وتعهده ، والسهر عليه ، لينمو ويبقى ، خدمة لقومنا ، واقوام

الدنيا كافة ، نقول (اننا نعمل لقضية العرب) وهذا صحيح ، كما انه حق وعدل. ولذلك نعمل لكي يتحد العرب ويتحرروا ويستقلوا ، اذ انهم ، لا يمكن ان يستعيدوا تراثهم، اذا هم لم يتحدوا ، ولم يتحرروا ، ولم يستقلوا .

وبكلمة موجزة جامعة واضحة نقول : (ان قضية العرب هي قضية **انشاء دولة عربية واحدة** ، او **حكومات عربية متحدة**، اي دولة اتحادية تخضع لسلطانها الاعلى، المستمد منها كلها، بواسطة مجلس يمثلها، العرب في مختلف اقطارهم؛ ليتمكن العرب من ان يستردوا حقهم المغصوب المضاع ، اي تراثهم الذي ذكرناه وان يحيوه ويزيدوا فيه ، وينتفعوا ، وينفعوا الانسانية به . وبهذا فقط ، تكون الامة العربية ، قد ظفرت بحقها، وكسبت قضيتها ، ويعود العرب سيرتهم الاولى ، مع مراعاة مقتضيات العصر ، وكل عصر. هذه هي :

« قضية العرب »

وما ان يكسب العرب قضيتهم القومية ، حتى تبدأ في نظرهم « القضية الانسانية » التي يريدون ان يعنوا في خدمتها في قوة وصدق واخلاص ـ على غير ما يفعله كثير من الامم القوية المدعية خدمة الانسانية ـ وذلك ضمن نطاق الممكن ، المعقول ، وعلى اساس صالح من النظم العادلة .

ويكون العرب ، غير جديرين بحمل اسم اسلافهم العظام حتى وغير جديرين بالحياة ؛ اذا هم لم يبذلوا الجهود والاموال والارواح ، لكي يكسبوا قضيتهم هذه ، فيشغلوا المكانة التي تليق بهم في هـــذه الحياة ، والتي تتفق مع جلال ماضيهم ، واتساع وطنهم ، وغنى ارضهم ، ومركز بلادهم ، وكثرة عددهم (١) ، وما يفرضه الطموح البشري ، في الاحياء فعلا ، من رغبة في السمو والتفوق ضمن دائرة ، تتسع لحريات كل قوم وحقوقه وامجاده .

وانهـــا لقضية حق ، كما ترى ، وانها من حيث الاساس والجوهر ، لقضية بسيطة غير معقدة ، وواضحة لا لبس فيها ولا ابهام ، لا سيما ، والعرب يحددون هذه القضية ، على اساس الحق القومي وحـــده ، تحديداً صحيحاً عادلاً ، لا يتجاوز الارض العربية ، ولا الشعوب العربيـــة . فهم لا يطمعون بالتوسع ، ولا يطمحون الى حكم غير العرب ، ففي ارضهم متسع لهم وغنى ، وفي عددهم وفرة لهم وقوى . ولكنهم لن يرضوا بعد اليوم ، بان يكون شبر واحد ، من الارض العربية

---

(١) يجعل بعض الاحصائيين عدد نفوس الامة العربية ، خمسين مليونا . ويرفع بعضهم العدد الى سبعين مليونا . وليس لدينا احصاء رسمي دقيق ، لنفوس كل قطر من الاقطار العربية ، على ان الاقرب الى الحقيقة فيما نرجح ، هو ما يقوله بعضهم ، من ان العدد لا يتجاوز الستين مليونا من النفوس .

داخلا في «ممتلكات» دولة اجنبيـــة ، ولا ان يكون لاجنبي واحد سلطان في بلاد عربية .

هذا هو المبدأ، او المذهب اذا شئت « Doctrine » الذي يعمل احرار العرب القوميون ، على اساسه . قلوا أم كثروا ،(١) ويرون لأقوام الدنيا كافة ، من الحق في العمل على هـــذا الاساس ، ما يرونه لانفسهم ، ويعتقدون بامكان تبادل المنافع واحترام المصالح المشتركة فيما بينهم ؛ والاخذ بعين الاعتبار ما تفرضه الوشائج الانسانية ، على الناس الناس. معتقدين باخلاص ان هذا الاساس في الحياة القومية من افضل الوسائل ، ان لم يكن افضلها ،لوضع حد للاطماع الجارفة ، والشهوات الجامحة ، او للتخفيف على الاقل ، من ويلات هذه الاطماع والشهوات ، ونكباتها ، على العالم كافة .

تحديد الكيان العربي

س = ٢٤ = ما هو شكل الكيـــان القومي العربي الموحد المستقل الذي يكثر احرار العرب القوميون من ذكره والدعوة اليه ؟

ج = = يظهر من خلال هـــذا السؤال ، اثر الشكوك

(١) نستطيع القول ان عدد هؤلاء الاحرار القوميين العرب ، بـــدأ – بعد النكبة – يتنفس ، ولكن في غير سرعة ..

والمخاوف التي ينشرها «بعضهم» في الناس لمحاربة «قضية العرب» حين يقولون: ان هؤلاء الدعاة، ناس خياليون، متطرفون. متعصبون، فكيف يمكن ان تتحد الاقطار العربية وتستقل وهي:

اولا – مجزأة الى ممالك ودول متعددة، فكيف يرضى الملك الفلاني، او الامير الفلاني، او الرئيس الفلاني، بهذه لوحدة التي تستدعي انهيار عرش وزوال سلطان.

ثانياً – انها مفصول كل جزء منها عن الاخر، بمسافات شاسعة وفلوات قاحلة.

ثالثاً – انها متفاوتة الدرجات في الرقي العلمي والاجتماعي مختلفة الوان الثقافة والتربية، هذا عدا ما لدول اجنبية من سلطان على بعضها.

اما الاعتراض الثالث. فقد اجبنا عنه في غير مكان من هذا الكتاب (١). واما الاعتراض الثاني، فنجيب عنه بقولنا: ان هذه البلاد المفصول كل جزء منها عن الاخر، بمسافات شاسعة وغير ذلك؛ قد توحدت يوم كانت وسائل المواصلات والنقل: الجمل والبغل والفرس. فاولى بها ان تتوحد اليوم، وهذه الوسائل اصبحت: القطار والسيارة والطيارة.

---

(١) راجع الصفحة ٦٩ – ٧١

واما الاعتراض الاول ، فجوابنا عنه ، هو بان نضع امام القارىء جملة « شكل الكيان العربي القومي الموحد المستقل ، او الدولة الاتحادية العربية الواحدة » التي نكثر من ذكرها وندعو اليها ؛ ونجاهد في سبيلها بايمان واخلاص.

تبقى هذه الدول التي يشيرون اليها – الا ان تشاء واحدة منها الاندماج التـــام في الاخرى – وعلى رأس كل منها رئيسها ، فليس من حاجة الى انهيار عرش وزوال سلطان ، ولكنها تتفق جميعها على ما يلي :

– اولا الغاء الحواجز الجمركية وجوازات السفر .

ثانياً – توحيد مناهج التعليم والتربية القومية .

ثالثاً – توحيد المنـــاهج العسكرية والسلاح واللباس ، وتوحيد قيادة الجيوش .

رابعاً – توحيد النقد وادوات القياس والوزن والكيل.

خامساً – توحيد التمثيل السياسي الخارجي. والدفاع .

سادساً – توحيد الجنسية – رسمياً – مع الاشارة الى كل قطر ، اذا شاء ، كأن يقال مثلا (عربي عراقي ، عربي يمني ، عربي مصري الى آخره) .

سابعاً – توحيد العَلَم مع اشارة ترمز الى كل قطر ، ان شاء.

ثامناً – تعيين ما يمكن ان ينتجه كل قطر من هذه الاقطار

ـ بواسطة لجنة من الخبراء المختصين ـ صناعياً وزراعياً، استنادا الى استعداده والى حاجة المجموع . لتتم الوحدة الصناعية والزراعية ، وتنتفي اسباب المضاربة والفوضى في الانتاج لمصلحة الجميع .

تاسعاً ـ توحيد التشريع الاقتصادي .

ويدير هذا الكيان او هذه الدولة الاتحادية الواحدة، مجلس اعلى ، على ان يبقى لكل قطر اذا هو شاء ، استقلال داخلي ، في ادارة تستوحي من حالات اهله ، وقوانين تتفق مع وضعهم الاجتماعي والاقتصادي وغيره، بما يحفظ لكل قطر شخصيته ، ان شاء ، ضمن نطاق الدولة الاتحادية.

هذا هو ، جملة، شكل الدولة الاتحادية التي نريدها ، والتي ستقوم حتما ، رغم ما هنالك من مظاهر قد يتوهمون انها عقبات كأداء ، ورغم ما يبدو من سلطان لبعض دول على بعض اجزاء الوطن العربي[1] .

قد يقول ناس ليس هذا وحدة ، وانما هو اتحاد . فليكن. فان الذي نرمي اليه ، انما هو بعث الامة العربية في مختلف

---

(١) اننا نعتقد ان ليل المشادة ، والدعاية .. والتفرقة بين الدول العربية اليوم ، هذا الليل الحالك الظلمة ، سيتمخض عن صباح خير ، وتمخض عن دولة اتحادية . تضم سورية والعراق والاردن ومصر والسعودية ولبنان وغيرهن . وليس فقط عن حلف ثلاثي! لا يضم الا سورية ومصر والسعودية. وسنرى ...

اقطارها، وانشاء مجموعة من هذه الاقطار متحدة محترمة تعتبر رسميا ودوليا وطنا واحداً . قويا نافعا ، يستمد قوته من اهل هذه الاقطار كلها ، باعتبار انهم امة واحدة لهم دولة اتحادية واحدة ؛ تكافح مجتمعة في سبيل البقاء ، وفي سبيل المجد والخير ، على اساس انهـــا وارثة العنصر العربي المجيد الصالح للبقاء . وانها تحمل رسالة عظيمة ، ينبغي لها ان تؤديها على احسن وجه واكمله في العالم كله ، بالاشتراك مع اية امة مهيأة لمثل هذا ، من مختلف نواحي الحيـاة ؛ سواء أكان الشكل وحدة ام اتحادا . ولعل « الاتحاد » كما حددناه افضل الان . ولسنا في صدد شكل الحكم الان من ناحية تفصيلية ، فالامر الرئيسي الحيوي الملح ، الذي لا يمكن ان نستغني عنه اذا كنـا كما نزعم لنفوسنا ، ناساً تعنيهم الكرامة ويعنيهم الوجود الشريف الخير العزيز - هو في الدرجة الاولى وقبل كل شيء ، ولا سيما بعد النكبة - انشاء هذا الكيان . او هذه الدولة الاتحادية ، التي حددنا شكلهـــا جملة . وسننشيء هذا الكيان حتما ؛ ليس فقط لما يترتب عليه من منافع اقتصادية واجتماعية وسياسية عامة . للعرب كلهم ، بل لانه هو في حد نفسه ، امر ، من غير الطبيعي ان لا يكون . ولانه ؛ انما يعني اتحاد افراد عائلة واحدة من المحتم المفروغ منه ، ان يقع ، من دون ان يشترط لذلك اي شرط .

القومية والدين

كانت العروبة ولم يكن اسلام ولا مسيحية

•

حينما انشأ العرب ، ملكا ، وشادوا حضارة ، لم يكن البشر يعرفون امة واحدة ؛ من هذه الامم المتحضرة المتمدنة ؛ القابضة على زمام الامر اليوم ؛ والمستعلية على العرب عنوة واقتدارا !! فقد انشأ العرب ملكا وشادوا حضارة وسنوا قوانين ، وتفننوا في اساليب التمدين والعمران منذ الوف السنين ؛ اي قبل ان يكون في هذه الدنيا اسلام ولا مسيحية .

ولا نتكلم الان ، الا على العرب الذين عرفهم العالم بهذا الاسم ، كما يعرف العرب اليوم ؛ والذين ثبت علمياً - بواسطة ما كشفته اعمال التنقيب من آثار في « العربية السعيدة » اليمن ، وفي غيرها - انهم عرب لا مجال للتـأول في عروبتهم ، من ناحية النسب والخصائص ؛ ولا من اية نواحي من النواحي .

نتكلم على هؤلاء فقط الان ؛ وندع جانباً ما يقوله كثير من المؤرخين ، من ان دولة « حمورابي » نفسها دولة عربية . ودولة حمورابي هذه قامت في بابل – العراق – في القرن الثاني والعشرين قبل المسيح ؛ اي منذ ما يقرب من ٤٣٠٠ سنة. ندع هذه الدولة جانبا. ونتكلم على الدول المجمع على عروبتها أجماعا. والتي انشأها العرب منذ ما يقرب من ٣٠٠٠ سنة ؛ لنسأل بعض الناس ، ومن بينهم من هم عرب ، اين كانت النصرانية، واين كان الاسلام ، يومذاك ؟!(١)

أفلا يحمل هذا هؤلاء الناس ، على الايمان بان العروبة شيء غير الدين (٢) وانها خارجة عن نطاق المسيحية والاسلام (٣) لانها ُوجدت قبل الاسلام والمسيحية، وتجمع

---

(١) في تاريخ فلسطين ان العرب دخلوا فلسطين قبل الاسلام بقرون . والدليل على ذلك ان «نرام سين» بن سرجون ملك الكلدان غزا فلسطين ٣٨٠٠ ق.م. وصادف في سينا حكومة عربية .خطط الشام ج ١ ص ٥٩

(٢) العروبة هي نفسها دين عندنا نحن « القوميين العرب » ولكنها دين قومي محض. الجنة عندها ، تقوم في هذه الحياة الدنيا. وجهنم ، تقوم كذلك في هذه الحياة الدنيا . مع دعوتها –اي العروبة – الى اسمى ما في الاديان السماوية من اخلاق ومعاملات وفضائل وحسنات .

(٣) نستطيع القول ان الاسلام عربي دون ان نخطيء .ولكننا نخطيء ، اذا نحن قلنا ان المسلمين في الوطن العربي هم وحدهم العرب وان العروبة هي الاسلام . فالدين الاسلامي دين عربي ، وفي رأينا انه يصعب جداً ان يكون مسلم غير عربي ، مسلماً كما اراد الاسلام ورسوله ان يكون ، لمجرد انه ولد من ابوين مسلمين . بل ينبغي له ، ليكون كذلك

في حضنها مسيحيين ومسلمين . نقول هذا ونحن ما نستطيع ان ننكر ما قد يكون لوحدة الدين في امة واحدة، مستكملة عناصر القومية ، من تأثير في عدم تصديع الصفوف في هذه الامة . من هذه الناحية . فانه يكفي ان تسدّ هذه الوحدة منفذاً من المنافذ التي يتسلل منها الاجنبي، ليبذر بذور الفساد والشقاق ، بين ابناء الامة الواحدة باسم الدين ، فيجعل منها معسكرين مختلفين ، فيضعفها ويتحكم فيها ويُذلها ، لا سيما اذا كان « الوعي القومي » في الامة ناقصاً .

اما ان تكون وحدة الدين شرطا في وحدة القومية، فهذا ما لا نفهمه ولا نستطيع ان نُقره على الاطلاق . بل ان هذا لينافي تماما ، العقل والعلم والواقع ، حتى والطبيعة النفسية . لقد وجد البشر قبل ان وجدت هذه الأديان . وقبل الاديان وجدت العائلة ، فهل ان اخوة في

مع ما ينبغي ، ان يصير عربياً بلسانه وثقافته وميوله . وكان المصلح الاعظم يقول : (من احب العرب فقد احبني) . وكان يقول : انا عربي والقرآن عربي ولسان اهل الجنة عربي . ولم يقل فارسي او تركي او اوردو او سنسكريتي. بينا ليس من الضروري ابداً ان يكون احدنا مسلماً ليكون عربياً . وقد يكون من ناحية ان الاسلام دين عربي ، جاء الوهم بان الذين يدينون بالاسلام من العرب هم وحدهم عرب . وهذا خطأ واضح جدا وقبيح ، استغله ويستغله الاجانب على اختلاف اديانهم ومذاهبهم ، ليفرقوا بين العرب مسلمهم ومسيحيهم ، وليبذروا فيهم بذور البغض والعداء ، فيغلبوهم على امرهم ، ويجعلوا منهم ومن بلادهم جسراً يعبرون عليه الى اغراضهم ومآربهم ، كما هو الواقع اليوم ومنذ مئات من السنين . او لم يأن للعرب بعد ان يدركوا هذه الحقائق؟!

عائلة من العائلات ، يمتنع عليهم ، طبيعة او عقلاً او علماً ، ان يلبي فريق منهم دعوة دين ، ويلبي الفريق الآخر ، دعوة دين غيره ؟ ! .

وهل انه من المفروض ان يدينوا جميعاً بدين واحد لكي نسلم بانهم عائلة واحدة ؟!.

إذن فان ما يزعمونه من ان اختلاف الاديان في العائلة العربية الكبرى (الامة العربية) ، يمنع ان تكون امة واحدة ، وان تؤلف كياناً واحداً ، شيء مخالف للعقل والعلم . وما هذا الذي يبعث هذا الزعم ، سوى شيء طارىء خلقته السياسات الاجنبية والنزعات الشعوبية وامور اخرى ... تساعدها شرذمة من رجال الدين النفعيين ـ يبرأ الدين منها ـ في غفلة من الزمن ، او قل في غفلة من الامة نفسها . وقد انقضى هذا العهد او كاد . واذا كان في البلاد العربية فريق من الناس قليل ، لا نستطيع الا ان نحسبهم عرباً ، بالنظر الى لغتهم وآدابهم وعاداتهم وتقاليدهم ، ومع ذلك فهم يقاومون « قضية العرب » ويتنكرون للعروبة ، فلا يندمجون فيها ، فليس مرد ذلك الى انهم يدينون بالمسيحية او بغيرها . كلا . بل مرد ذلك الى انهم كما يقولون هم انفسهم من عنصر غير

عربي (١) ، فمسيحيتهم في الاصل حينما يكونون مسيحيين ؛ براء من هذا ، بدليل ان القسم الاعظم من المسيحيين في الوطن العربي يباهون بعروبتهم ، ولا يرون بينهم وبين المسلمين العرب ، – وهم على صواب وعلى حق – اي فرق في القومية. فهم يندمجون مع غيرهم في العروبة ، اندماج افراد العائلة الواحدة ، يعتبرون نفوسهم – كلهم في الواقع – اخوة لبقية افراد العائلة العربية ، دانوا بهذا الدين ، ودان بقية افراد العائلة بدين آخر ؛ من دون ان يجعلهم هذا ، عائلتين متباينتين مختلفتين . وان هذا وحده ليعجز في الواقع ، عن ان يجعلهم كذلك، لأن الامر يمتنع طبيعياً ، وليس فقط عقلياً وعلمياً ؛ كما يمتنع ان تكون أمتان من عنصرين مختلفين ، أمة واحدة ، وإن دانتا بدين واحد (٢) .

(١) هذا اذا صح ما يقولون ... ولعل « المرد » الاول ، هو دسائس الاجنبي ، باعتبار انهم اذا لم يكونوا عربا من ناحية العنصر والسلالة ، فانهم قد تعربوا واصبحوا عرباً ، قومياً .

(٢) مثال ذلك الامة الانكليزية والامة الروسية – مثلا – فيها من عنصرين مختلفين يمتنع عليهما ان تكونا امة واحدة، مع انهما تدينان بدين واحد، والامثلة على هذا في الشرق وفي الغرب كثيرة جداً ، لا يصعب على القارىء ادراكها .

من هم العرب ؟ (١)

●

يقول الاستاذ «هوغارت» : ان العرب استمالوا الى لغتهم وآدابهم ، حتى وطبعوا بسحنتهم الطبيعية من الاجانب ؛ اكثر من اي قوم آخرين قبلهم وبعدهم ، من دون استثناء احد ، حتى ولا اليونان والانكلوسكسون ، اي ان العرب كانوا انجح المستعمرين (٢) على الاطلاق . وهذا

(١) نأخذ هذا الفصل من احدى المحاضرات العلمية التاريخية التي كان يلقيها «حزب قومي عربي كان يومها ، الحزب الوحيد في البلاد العربية ، الذي يعنى بجد ، وفي ايمان ، بقضية العرب، كما فصلناها في هذا الكتاب هو : «عصبة العمل القومي» ، في بيروت سنة ١٩٣٧ – ١٩٣٨

(٢) يجب ان لا يفهم من كلمة «المستعمرين» هذه ،ما يفهم منها اليوم . فالعرب كانوا ينشرون العلم والعمران والعدل والرخاء ومكارم الاخلاق ، في كل بلاد يفتحونها ويمدون سلطتهم عليهم . وكانوا لا يفرقون بين ابنائها ، ولا يميزون فريقاً على فريق منهم ، لاغراض ومآرب ، ولا يعملون الا الحق. ومن هنا جاءت كلمة الفيلسوف الفرنسي «غوسطاف ده لوبون» : ما عرف التاريخ فاتحاً ارحم من العرب .

ما يقوله الاستاذ « كوك » ايضاً . ويقول الدكتور « فيليب حتي » : انه لم تسهم امة في ميدان التقدم البشري في القرون الوسطى كما أسهم العرب . كذلك رأينا ان العرب كانوا عسكريا اعظم الفاتحين .

وان لغة العرب ما تزال حتى اليوم ، لغة التخاطب والتدوين لنحو سبعين مليونا من البشر ، كما انها كانت طوال مدة القرون الوسطى ، لغة العلم والثقافة والفكر ، في العالم المتمدن . وما تزال اللغات الاوربية الحية ، تحمل طابع اللغة العربية ، في كثير من الكلمات والاسماء . اذن ، فقد كان العرب اعظم الفاتحين واعدلهم وارحمهم ، وقد حملوا مشعال العلم والثقافة والتمدن قروناً طويلة (١) ثم هم لا يزالون رغم

---

(١) الكلام هنا على العرب بعد الفتح العربي الاخير الشامل ، الذي اول ما وقع ٦٣٥ م. في بر الشام « موقعة اليرموك » . ثم سنة ٦٣٧ في العراق العجمي « موقعة المدائن » ، ثم سنة ٦٤١ فتح مصر . ثم تتالت الفتوح ، ففتح الجيش العربي ، افريقية الشمالية ثم اسبانية ، وبها بدأ الفتح في بقية اوروبة . ونذكر لهذه المناسبة وبصورة مجملة ، اشهر القواد الذين اشتركوا في فتح هذه البلدان وهم : « خالد بن الوليد ، ابو عبيدة الجراح ، عاصم التميمي ، الاحنف بن قيس التميمي ، المثنى بن حارثة الشيباني ، سعد بن ابي وقاص . حذيفة بن اليمان ، ميسرة بن مسروق العبسي ، النعمان بن مقرن ، مجاشع بن مسعود ، عتبة بن ابي وقاص ، شرحبيل بن حسنة ، عمرو بن العاص ، يزيد بن ابي سفيان ، عقبة بن نافع ، حسان بن النعمان ، موسى بن نصير ، طارق بن زياد . ويحضرنا من اسماء النساء اللواتي اشتركن في الفتح ، خولة بنت الازور في اليرموك ، واروى بنت الحارث في القادسية .

النكبات والمصائب المختلفة ، امة حية كريمة . فمن هم العرب؟ وما هي مواطنهم الاصلية .. وسيرتهم الاولى . وما هي تلك القوى التي تفجرت مع الفتح ، فانارت سبل العالم حيناً من الدهر طويلا ، ثم عادت الى الركود ، ثم عادت الى الظهور والحركة ،مع نهضة القرن العشرين ؟!

هذا ما سنحاول الاجابة عنه ، مستندين الى اوثق المصادر لا نقول الا الصدق . ولا نتوخى الا الحقيقة .

ان كلمة « ساميون » جاءت من التوراة نسبة الى سام بن نوح . ولقد ورد في التوراة ما يدل على ان الشعوب التي عرفت بـ « السامية » هي من نسله . وعليه فهم عرق واحد من عروق البشر . على انه وان بقي الاسم ملازماً لهذه الشعوب ، فان تفسير التوراة لاصل الشعوب السامية، لم يبق مقبولا في الاوساط العلمية . فمن هم الساميون اذن ؟
لقد استنتج العلماء من دروسهم اللغات السامية في القرن التاسع عشر ، ان هذه اللغات : لغات البابليين والاشوريين ، والكلدانيين والعموريين والعرب ، متشابهة في الفاظها وتراكيبها ، وانها من اصل واحد يسمونه اللغة السامية . ولم يصلوا الى اكثر من ذلك حتى الآن . ثم اختلف العلماء في موطن الساميين الاصلي ؛ وجاؤا بنظريات عديدة في الموضوع

على ان النظرية المقبولة الان ، هي : ان الجزيرة العربية هي مهد الساميين الاصلي. منها تدفقوا موجات الى الشمال الشرقي والشمال الغربي ، والى ساحل البحر الاحمر الغربي[١] .

العرب

ان اول هجرة من الجزيرة العربية، حدثت حوالي سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ، واتخذت طريقها على ساحل البحر الاحمر، فحول شبه جزيرة سيناء «وسورية»، «ومصر». وفي الوقت نفسه تقريباً ،تدفقت من الجزيرة موجة اخرى على الشاطيء الشرقي، الى وادي الفرات ودجلة. وفي منتصف الالف الثالث قبل الميلاد قذفت الجزيرة بموجة جديـــدة من البدو، اولئك هم العموريون ، ومنهم الكنعانيون والفينيقيون. وبين سنة ١٥٠٠ الى ١٢٠٠ قبل الميلاد ، تسلل اليهود الى فلسطين ، وبقي في الجزيرة من بقي من العرق السامي وخضع لمؤثراتها ، مئات اخرى من السنين ؛ كما خضع الذين نزحوا عن الجزيرة لمؤثرات غير تلك . فوضحت الفروق بينهم وبين المقيمين في الجزيرة ، واصبح هؤلاء يؤلفون امـــة . فيها عوامل الوحدة واضحة . وهؤلاء هم «العرب» .

ثم اخذ هؤلاء العرب يطلعون على العالم بميزاتهم الخاصة، منذ

---

(١) ان اصل الفينيقيين من البحرين ظعنوا من هناك الى سواحل بلاد الشام. وانهم عرب باصولهم . رولنسون – خطط الشام ج١ ص ٥٨

سنة ٥٠٠ قبل المسيح . فحوالي السنة الخمسماية قبل المسيح ، ظهر الانبـــاط العرب في « البتراء » - شرق الاردن - وانشأوا فيها حضارتهم . وقبل ان ابدأ الحديث عن المدنية العربية الاولى ، اود ان اتساءل معكم لماذا سمي العرب عربا ؟

يقول الاستاذ « ولنفسون » ان كلمـــة عرب ، كانت مستعملة لتدل على اهل « العربة » ؛ اي الصحراء . وان كلمتي : عبري وعربي مشتقتان من ثلاثي واحد . هو « عبر » الذي معناه : رحل من مكان الى مكان . وقطع مرحلة من الطريق . وهناك اقوال اخرى ، هذا القول اقربها الى العقل والمنطق حتى الان .

اذن ، فصفة التنقل في البادية ، او « العربة » وهي الصحراء . والرحيل من مكان الى مكان في طلب الماء والكلاء ، هي التي اشتق منها اسم « العرب » بالنظر الى معنى كلمه « عربة » في لغتهم . وكلمة عبر[1] .

مركز الحضارة

تعد بلاد العرب الجنوبية ، من اقدم مراكز الحضـارة عند الامم السامية ، اذ كان موقع بلاد اليمن الجغرافي ،

---

(١) هناك نظرية جديدة في هذا الموضوع لم تتبلور بعد ، لذلك ندعها الى الطبعة التالية من هذا الكتاب ان شاء الله .

من الاهم اسباب التي ادت الى نشوء الحضارة في ربوعها، قبل ان يظهر لها اثر ، في المناطق الشمالية ، من الجزيرة العربية .

ان اليمن بهضابها الكثيرة ، وجبالها العالية ، وسهولها الفسيحة ، تعتبر من اخصب بقاع الارض . هذا مع قربها من البحر وموقعها على طريق الهند . وكان هـذا من اهم عوامل نهضتها الاولى . ومع انه قام في اليمن ، كما سنرى ، دول عربية ذات حول وطول ، الا ان حضارتها لم تكن حربية في الاساس ، كحضارة وارثيها من الدول العربية بعد الرسالة ، اي بعد القرن السابع للميلاد . ويُسمي الدكتور « حتي » العرب اليمنيين : (فينيقيي البحر الجنوبي). فهم قد رسموا خرائط هذا البحر ، وبينوا مسالكه ، وتحكموا في رياحه ، وسيطروا على تجارته ، في الالف والخمسماية سنة قبل المسيح (١) ؟

كذلك انشأوا طرقا برية للقوافل ، من حضرموت الى مأرب ، ومنها الى مكة والبتراء ، ثم الى « سورية » ومصر والعراق .

---

(١) اليس في هذا مفخرة من مفاخر العرب . الا تتناول هذه المفخرة ، العرب جميعاً ، الذين يدينون منهم بالاسلام وبالمسيحية ، على السواء ؟!

اللغة العربية الحميرية

وقبل ان احدثكم عن الدول العربية اليمنية وحضارتها ، اريد ان ابين لكم ، ان لغة هذه الشعوب العربية ، كانت اللغة الحميرية ، اي اللهجة العربية الجنوبية . وقد كان لهم تسعة وعشرون حرفا من حروف الهجاء. ويعتقد الدكتور فيليب حتي ، ان هذه الابجدية ، تؤلف الحلقة بين الحروف العربية القديمة وبين الابجدية التي سميت بالابجدية الفينيقية . واحرف هذه الابجدية هي ما يعرف بـ (المُسند) . اي ان العرب الحميريين كانت لهم حروف للكتابة. اخذها عنهم العرب الفينيقيون ورقوها . وقد وجدت كتابات كثيرة في اليمن انارت سبل المؤرخين، لمعرفة احوال ذلك الزمان البعيد . ومما لا شك فيه ، ان اثاراً كثيرة ، ناطقة بحضارة العرب في تلك العصور ، ما تزال تحت الرمال ، تنتظر اعمال التنقيب .

اعود الى اللهجة الحميرية فاقول ، ان في القرون القريبة من الفتح العربي اخذت اللهجات الشمالية ، تتمتع بقوة وعزة ، بينما اخذت اللهجات الجنوبية تتدهور . وكان ذلك لفقدان بلاد اليمن حريتها واستقلالها، فتدهورت حضارتها وانحطت . وتبعتها اللهجة حتى زالت . وحلت محلها العربية الشمالية التي كانت بدأت تفيض فتوة وقوة .

الدولة المعينية

ان اقدم دولة عربية خالصة ، اظهرتها الابحاث العلمية ، في الاثار الباقية ، وكتابات المؤرخين القدماء ، هي الدولة المعينية ، التي ازدهرت وقويت شوكتها في اليمن ، بعد السنة ٦٥٠ ق. م . وقد سيطرت في ايام عزها ، على معظم الجزيرة العربية . وكان لها « مستعمرات » في اطراف البلدان المجاورة اهمها بلد ما تزال تحمل اسم المعينيين محرّفاً ، وهي معان المصرية ، او القسم الجنوبي من معان المعروفة اليوم. وحفظت الاثار ايضا ، اخبار ممتلكات معينية سبائية في وادي الفرات ، وما تزال « معين » حتى اليوم ، تحمل اسم المملكـــة التي كانت هذه البلدة عاصمتهـا . وقد تمكن الاستاذ « موللر » من معرفة اسمـــاء ستة وعشرين ملكا ، من ملوك « معين » واستنتج من وحدة اللفظ ، وتكرر بعض الاسماء ، ان نظام الملك كان وراثيا ، عند اجدادنا المعينيين .

الدولة السبائية

وقبل ان تزول دولة المعينيين ، نهضت الدولة السبـائية بجوارهـــا ، على انه لم تنقض ، ثلاثة قرون ، حتى اصبح السبائيون ورثة المعينيين . فبسطوا نفوذهم وسلطتهم على

جنوبي الجزيرة العربية وحكموها . وكانت « مراوح » — واسمها الحديث « خَربة » —وهي تبعد مسافة يوم عن مأرب الى الغرب ، عاصمة السبائيين ، في الثلاثمائة سنة الاولى ، من حكمهم ، ثم اتخذوا مأرب قاعدة لملكهم .

ومدينة « مأرب » هذه التي اشتهرت ، بسدها العظيم ، تعلو ٣٩٠٠ قدم عن سطح البحر . وقد كانت ملتقى طرق التجارة ، بين الشرق والغرب .

الدولة الحميرية الاولى

وبعد سنة ١١٥ قبل الميلاد ، نرى لقب ملوك سبأ ، يصبح « ملوك سبا وريدان » . وريدان هذه ، التي عرفت فيما بعد باسم « ظفار » ، كانت مقاطعة على ساحل البحر . وهنا يبدأ عهد المملكة الحميرية الاولى ، التي دامت حتى سنة ٣٠٠ بعد المسيح . وقد اتخذ الحميريون ، الذين لا يختلفون بشيء هام عن ابناء جنسهم المتقدمين : السبأيين والمعينيين ، « ظفار » هذه ، عاصمة لهم . ومما يستحق الذكر ، انه في هذا الدور ، توغل القائد الروماني « اليوس غاليوس » على رأس جيش روماني — سنة ٢٤ ق.م. — ليخضع اليمن ، ويسيطر على تجارتها ، لكنه لم يوفق الى شيء من هذا ، وعاد فاشلاً ببقايا جيشه الى مصر .

وكانت هذه اول حملة وآخر حملة عسكرية، تجرأ الاجانب ان يسيروها على الجزيرة العربية .

وفي هذا الدور ، عبر العرب الى ارض « كوش » حيث وضعوا اسس المملكة الحبشية ، وانشأوا تلك الحضارة ، التي لم تكن لتقوم لولاهم في الحبشة . وكانت عاصمتهم الاولى « اكسيوم » نواة المدنية الحبشية الاولى . وقد بنى ملوك حمير ما خلد اسمهم ، كما فعل السبأيون من قبلهم . من ذلك : قصر « غمدان » . وقد بُني في القرن الاول للميلاد ، وبقي قائماً ما لا يقل عن ٦٠٠ سنة ، وشاهد الهمذاني بقاياه ، وقال في وصفه له ، في كتاب الاكليل : انه كان عشرين سقفا (١) . اي طبقة ، بين كل طبقة وطبقة عشرة اذرع . وقد بني من شتى انواع الحجارة الجميلة الصلبة ، وحوى كثيراً من ايات الزخرف والفن .

علـــى انه في خلال القرن الاول بعد المسيح . اخذت

---

(١) عشرون طبقة ، كل طبقة عشرة اذرع ! اي انه يتألف علوه من مايتي ذراع ، ومنذ ١٩٠٠ سنة . اليست هذه حضارة ؟ اليس هذا عمرانا ... الا يفاخر بعض الامم اليوم بمثل هذا : بناطحات السحـــاب مثلا ، في اميركا وغيرها ، بينما اجدادنا خلقوا هذه الحضارة منذ ١٩٠٠ سنة كما رأيت . فهلا يبعث هذا وغيره من مثله ، في نفوس العرب اليوم ، ثورة تدفعهم الى معالجة حاضرهم ، واعداد مستقبلهم ، لتتجانس الحلقات في سلسلة حياتهم ، وتنسجم ماضياً وحاضرا ومستقبلا ...

الاحوال الخارجية تتبدل بشكل ، ادى في النهاية ، الى تقهقر الاصقاع العربية الجنوبية . فان العرب اليمنيين ، كانوا كما ذكرنا ، قد سيطروا على طرق التجارة بين الشرق والغرب ، يفرضون رسوم المرور على البضائع الاجنبية ، ويبيعون حاصلات بلادهم باغلى الاثمان . وكان العرب في البتراء ، وفي تدمر ، وفي العراق ، يشاركون العرب اليمانيين بالتحكم في التجارة الشرقية ، حتى سقطت مصر بيد الرومان ، الذين تبعوا البطالسة : اسلافهم في حكم مصر ؛ في سياسة المحاربة لاستئثار العرب بطرق التجارة . وكان « بطليموس » الثاني ، قد اعاد فتح القنال القديمة ، بين النيل والبحر الاحمر ؛ واتم الرومان العمل ، بان تجرأوا على البحر الاحمر ، يساعدهم الاحباش ؛ حتى تمكنوا من الوصول الى الاوقيانوس الهندي ، فسقطت اليمن والبتراء وتدمر ، من اوج مجدها الاقتصادي ، وتبع السقوط الاقتصادي التدهور السياسي .

ونحو السنة الثلاثمائة بعد المسيح ، نرى نعت الملك الحميري اصبح (ملك سبا وريدان وحضرموت واليمامة وعرب الجبال وتهامة) ، وهنا يبدأ عهد المملكة الحميرية الثانية .

الدولة الحميرية الثالثة

اذا استثنينا الفترة القصيرة ، التي مدت فيها الحبشة حكمها

على اليمن ، نستطيع ان نقرر ؛ ان ملوك العرب من حمير – وكان لقب الملك منهم : تبع – ظلوا ملوك البلاد التي ذكرناها قبلا ، حتى حوالي سنة ٥٢٥ ب . م . ويُعرف الان اسماء تسعة من ملوكهم ، وقد ورد ذكر بعضهم كثيرا في اخبار العرب واشعارهم . ومن المهم في هذا العهد ، انه لا ينقضي الا ونرى اليهودية والمسيحية قد دخلتا الجزيرة العربية . ونجد آخر ملوك حمير : ذا نواس ، يهودياً .

دخل الدين – والدين آفته رجاله – فانقسم عرب اليمن ، الى يهود ونصارى ، وكان ان ثأر ذو نواس ، آخر التبابعة ، بخضوع نصارى نجران ، وهم عرب ، لنفوذ الاحباش ، فدبر لهم مذبحة في تشرين الاول سنة ٥٢٣ ، فتنادى النصارى الى انتقـــام ، وبامر امبراطور بيزنطية ، عبر سبعون الفاً من الاحباش النصارى الى اليمن ، فافسدوا ، بقيادة « ابرهة » المشهور ، على اليمن استقلالها . وتحكموا باهلها جميعاً من يهود ونصارى ، بعد ان كان المزعوم انهم جـاؤا لمساعدة النصارى والانتقام لهم (١)

و « ابرهة » هذا ، هو الذي قاد الاحباش في حملته على مكة عام الفيل ، في القرن السادس بعد المسيح ، ففشل ، ونزل

---

(١) الحالة نفسها تماما حتى اليوم ، مع الدول القوية الاستعمارية ، من مسيحية ومسلمة ! تجاه الدول الضعيفة ...

بجيشه خسائر كثيرة ارغمته على الارتداد عنها .

وفي هذا الدور ، تهدم سد مأرب . ولم تكن المرة الاولى التي تهدم فيها السد ، ولكنه كان كلما تهدم منه شيء يرمم . أما هذه المرة ؛ في دور ابرهة الحبشي ، فلم يكن بالامكان ترميمه ،فبقي مهدماً . ومما يذكر ، ان بني غسان واللخميين هجروا اليمن الى حوران والحيرة ، بعد حدوث الثغرة الاولى في السد . وكذلك فعل بنو طي ، والتنوخيون ، و كندة ، و كثير غيرهم من عرب اليمن .

وبقيت للاحباش سلطة على اليمن ، حتى ثارت النخوة العربية في رأس سيف بن ذي يزن ، فقاتلهم ، ثم استعان بالفرس فاعانوه ، وطرد الاحباش من وطنه ، على ان هذه الحركة « الوطنية » لم تثمر بالنتيجة ، اكثر من ان بدلت بالاحباش ، الفرس ، الذين اختلسوا باساليبهم ، الحكم من ايدي العرب اليمنيين ، وظلوا فيه حتى ظهور الدين العربي الجديد ، ودخول البلاد في قبضة عرب الشمال ، في القرن السابع بعد المسيح (١) .

---

(١) وقع في التاريخ الحديث ، مثل هذا تماما ، او ما يشبهه في الحرب العالمية الاولى ، مع العرب والحلفاء : « انكلترة وفرنسة واميركة وروسية » واخواتهن ... بالنسبة لموقف العرب من الترك وثورتهم عليهم في سبيل تحرير البلاد العربية منهم واستقلالها عنهم ، وتأليف دولة عربية متحدة مستقلة . ولم

– انتهى ما اخذناه من محاضرة « عصبة العمل القومي –

لقد قلنا فيما سبق ، اننا لا نضع في كتابنا هـــذا ، تاريخاً للعرب او لقضيتهم ، وانمـا نعرّف « قضية العرب » تعريفاً ، لتصبح واضحة مفهومة تماماً ، لدى الجميع ، فاذا مـــا عرضنا للتاريخ في بعض الصفحات ، فانما يكون ذلك لما لهذه القضية من علاقة بالتاريخ تساعد عـــلى ايضاحنا حقيقتها . وافهامنا الجميع كنه جوهرها . وانهـــا قضية المسيحيين العرب ، كما هي قضية المسلمين العرب، سواء بسواء . لان العروبة كما قدمنا ، وكما يتبين دون اي خفاء ، من هـذا الفصل ، هي معدن لنا جميعاً ، وهي بهذه الصفة قائمة قبل الاسلام وقبل النصرانية ، بطبيعة الحال ، فليس اذن من مبرر للزعم ، انـ المقصود بكلمة « العربي » المسلم العربي ، دون المسيحي العربي ، فقول مثل هذا ، ينافي العقل والتاريخ والحقيقة والواقع .

يختلف عن هذا ، الا في الشكل ، ما وقع للعرب بعد الحرب العالمية الثانية . على ان العرب اليوم يختلفون عنهم في سنة ١٩١٨.وهم غيرهم في سنة ١٩٤٥ وسنة ١٩٤٨ ايضاً... وستضع هذه الشعوب العربية – الامةالعربيةالواحدة– حداً لانخداع حكوماتها واستخذائها . اي انها ستضع حداً لتعدد هذه الحكوماتوالدول. فنحن نؤمن – مهما يكن من امر – ان الدولة العربية الاتحادية الواحدة آتية لا ريب فيها .



منظر من المغرب العربي

وهم

•

تبين لنا مما في الفصل السابق، من حقائق تاريخية ، انه كان للعرب في البلاد العربية الجنوبية « اليمن » مدنية مرموقة، قبل المسيحية ، وبالطبع قبل الاسلام . ثم دخلت المسيحية الجزيرة العربية ، فاعتنقها فريق من العرب ، ثم جاء الاسلام ، فاعتنقه القسم الاعظم من العرب ، أفيبطل ان يكون العربي عربياً لانه اعتنق المسيحية !! واية علاقة للدين بالسلالة او بالقومية !! او لان اخاه العربي مثله ، اعتنق الاسلام .. واية علاقة سلالية او قومية ، بين الذين ، من الاعاجم اعتنقوا الاسلام ، وبين العرب

س — ٢٥ — من اين جاء هـــذا الوهم ، لبعض العرب ، من ان كلمة « العربي » معناها المسلم ؟

ج — — لقد جاء هذا الوهم بصورة عامة من الامور التالية :

اولا — الجهل بتاريخ الامة العربية .

ثانياً — مفاسد بعض الدول الاجنبية في بلاد العرب .

ثالثاً ــ تعاليم الارساليات الاجنبية .

رابعاً ــ سوء تصرف بعض العرب المسلمين غير المسؤولين وبعض المسلمين المسؤولين ، غير العرب ، في عصر جهل وغفلة .

وقد يكون في جملة الاسباب الكثيرة ، للجهل بتاريخ العرب ، هذه الاسباب المعروفة من الكثيرين منا ، سبب اساسي ، هو انصراف المؤرخين العرب ، بعد الاسلام ، عن تاريخ العرب قبل الاسلام . وتجنبهم الاشادة بالدول العربية والمدنية العربية ، التي قامت قبل الاسلام وقبل النصرانية !!

جاء الاسلام على يد عربي ، كان يتيما مغموراً ، فما لبث ان جعلت منه اعماله ، وتعاليمه ، بواسطة الاسلام ، رجلا فوق البشر ، وتدفقت انوار الدين الجديد ، بواسطة العرب على العالم اجمع . وكأنما كان العرب مهيئين ، لا ينقصهم الا هذه الهداية ، ليفتحوا الفتوح ويؤسسوا الدول ، وينشروا في الدنيا العلم والحضارة والمدنية والعدل ومكارم الاخلاق . فعجب مؤرخو العرب لهذا الحدث العظيم . وتناسوا ما كان للعرب من قبل ، من دول ومن مدنية . وقد يكون خطر لهم ، انه من الوفاء للعهد الجديد ، ان يُبدأ به في التأريخ للامة العربية ، لا سيما وقد كانت مرت برهة من الزمن ، على العرب قبيل الاسلام ، وهم في غفلة وجهل وتضعضع . وهي البرهة

الفاصلة بين المدنية العربية الاولى ، والمدنية العربية الثانية . والتي اتفقوا على تسميتها بـ « الجاهلية »من دون ان يحددوا بدايتها ، وقد حددوا نهايتها برسالة المصلح الاعظم .

وقد يكون خطر لهم كذلك ، ان الكلام على انوار المدنية الاولى ،قد يقلل من شأن انوار المدنية الثانية هذه، وانها لنظرية خاطئة من الاساس في نظرنا . ثم ماذا على القمر من ضوء النجوم ! وماذا على الشمس من ضوء الكهرباء !!

ومهما يكن من أمر ، فان الضرر الذي الحقه بنا هؤلاء المؤرخين ، ضرر كبير جداً ،سواء اصح ما استنتجناه ، من ان هذه النظرية ، التي اشرنا اليها ، هي التي صرفتهم عن ماضي العرب قبل الاسلام ، ام كان السبب غير ذلك ؛ فانهم حرمونا من جزء كبير من تراثنا القومي ، المدفونة اخباره في صدورهم ، وفي سهول الجزيرة وجبالها ـ ولا سيما في اليمن ـ عسى ان يقيض الله لنا من امرنا ما يوفقنا الى اكمال البحث والتنقيب عن آثارنا القديمة ، التي بدأ الاجانب يكشفون عنها النقاب (١) ، ـ وسيقيض الله لنا هذا ـ ان شئنا ـ فلما جاءت الارساليات الاجنبية ، وكلها ـ وليس اكثرها ـ دينية

---

(١) اول من خطر له التنقيب عن اثار العرب في اليمن — حضرموت — عالم الماني اسمه « مخايلس » توفي سنة ١٧٩١ ، وقد الف بعثة لهذا الغرض سنة ١٧٦١ بتشجيع من ملك الدانمرك « فيليب » .

وسياسية ؛ دينيـــة ، عن هوس ، وسياسية ، تتستر بالدين عن خبث ومكر ، اخذت تنشر فيما تنشره من السموم مع نشرها العلم ، هذه الدعاية ، او ما هو في معناها : (إن العرب نهضوا في القرن السابع للميلاد (١) بعد إن دانوا بالاسلام . وقـد واثارهم ، النبي محمد (ص) واسسوا بعد موته ملكاً ، وهم مسلمون ؛ فالذين لم يـــدينوا بالاسلام ، لا تعنيهم العروبة في شيء ، وليس لهم من مفاخر العروبة من شيء ! ـ هذا اذا هم اعترفوا بما للعروبة من مفاخر ! ـ فنهضة العرب اذن ، تعني المسلمين العرب فقط ...)

كلام كله مغالطة وتخبيص وتضليل وسموم . ومن هنا جاء الوهم بان كلمة « العربي » معناها المسلم . وقد ساعد عـلى نشر هذه الدعاية الخبيثة ، الجهل بتاريخ العرب كما قدمنا ، ـ هذا الجهل الذي من اسبابه الكبرى الارساليات نفسها ـ والتصرف السيء ، الذي كان يتصرفه ، في ادوار معينة ، بعض المسلمين العرب غير المسؤولين ـــ ، عـلى انه كثيراً ما كان يُرد عـلى هذا التصرف بمثله ـــ والذي كان يستغله الاجانب وهم في عز صولتهم ، بشيء كثير من سؤ النية ، وسؤ القصد ؛ والى ابعد حد يساعدهم ، في ذلك ، اجانب من المسلمين ، ـــ والاجانب في نظرنا سواء ، مع تفاوت في المقدرة والتصميم عـلى الايذاء ـــ

(١) وكانوا وما يزالون يقللون من شأن هذه النهضة ونتائجها .

لكي يزيدوا في التفرقة بين ابناء الامة العربية الواحـــدة ، فيسهل عليهم ان يسودوا هذه الامة ، بمسلميها ومسيحييها .

وبقيت هـــذه العوامل الاربعة : (الجهل بتاريخ الامة العربية ، ومفاسد بعض الدول الغربية والشرقية ، وتعاليم الارساليات الاجنبية ، واستغلال المفسدين سوء التصرف القديم) الواقع منه والمزعوم ، - والذي كان يمكن ان يكون اثره قد زال ، لولا هؤلاء - تعمل عملها زمناً طويلا ، ثم اخذ يخف تأثيرها ، رويداً رويداً ، بواسطة انتشار العلم ومنطق الحوادث ، ولا سيما بعـــد اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ وبصورة خاصة قبيل حرب ١٩١٤-١٩١٨ وخلالها ، بفضل الفكرة القومية العربية التي استشهد في سبيلها عدد كبير من العرب ، مسلمين ومسيحيين ؛ الى ان نشطت من جديد ، بعد الحرب العالمية الكبرى ، بتحريض المستعمرين ، واستفحل امرها ، فتنبه لهـــا القوميون العرب ، من يدينون منهم بالاسلام وبالمسيحية ، وحاربوها في لين حيناً ، واحياناً في عنف . وما يزالون يحاربونها . وقـــد صمموا ان يقضوا عليها ، وسيفعلون انشاء الله .

ليست اسلامية ولا شرقية

وان تكن تتصل بالشرق وبالاسلام

•

تعود بعض الكتاب والباحثين في معرض الكلام على الاقطار العربية ، سواء أكان الموضوع اجتماعياً ، ام ثقافياً ، ام اقتصادياً ، ام سياسياً ، ان يخلطوا بين القضية العربية ، وبين ما يسمونه القضية الشرقية وبينها وبين ما يسمونه القضية الاسلامية ، فيذكروا الجامعة الاسلامية ، ثم لا يفرقون بينها وبين الجامعة العربية . . وفرق بين الجامعتين كبير . واكثر ما يقع هذا لبعض اخواننا المصريين . وقد لاحظنا انه كثيراً مايقع لبعض اصحاب الشأن والوزن من الكتاب والباحثين فيهم حتى ولبعض اصحاب الشأن والوزن من رجال السياسة ايضاً . وانه لامر مؤسف حقا يحمل من يريد ان يعيبنا على ان يتهمنا باننا لا نعرف مانريد . او اننا لا نحس احساسا قوميا ، فلا نفرق بين جامعة اسلامية ، وجامعة عربية . والحقيقة والواقع غير هـذا . وان هي

الا غفلة فيما نعتقد، تعرض للذين ليست الشؤون القومية الصرف من اختصاصهم . او بكلمة اوضح ، ليسوا من اصحاب الايمان في القومية العربية . وقد يكونون من اصحاب النظر المضطرب، في مسألة نشوء امة، وانشاء دولة . وقد يتنبهون الى هذا الخطأ — اذا هم نبهوا اليه — ويعودون عنه[1] .

خذ مثلا ما يرد على السنة البعض واقلامهم في مصر من هذا القبيل . كأن يقولوا : مصر واخواتها الشرقيات ! يعنون بالاخوات الشرقيات : (الشام والعراق واليمن وغيرهن من الاقطار العربية) ، ويبالغ بعضهم فيقول ، بدلا من الاقطار العربية ، اقطار العربية ... فيشوه وجه الحقيقة هنا عامدا او غافلا ، لا فرق . اذ يصبح المعنى، الاقطار التي تتكلم العربية وليست بعربية (٢) . كأنما هم يريدون ان يخرجوا مصر من

«١» نعتقد انه قد بدأ دور هذا التنبه، وتجاوزه الى اكثر من ذلك . ونقول مرة اخرى انا، كتبنا هذا الكتاب منذ سنوات . ولم نحب ان نغير فيه شيئاً ليبقى كما قلنا ، صورة ناطقة صحيحة عن الحالة العامة يومذاك في الوطن العربي كله ، على اختلاف اقطاره ، وعما كان يضطرب في نفسنا وفي فكرنا من دون اي تبديل .

«٢» اذا نحن قابلنا هذه الاقوال ، بما يقوله الاستاذ جورج انطونيوس في كتابه القيم « يقظة العرب » الذي وضعه بالانكليزية ، تبين لنا في جلاء، وجه المرض ، او وجه الغفلة في نفوس اصحاب هذه الاقوال ، وانه من الطبيعي ان نأسف ونتألم لغفلتهم هذه . يقول الاستاذ انطونيوس في كتابه المذكور

عداد هذه الاقطار • وبينما يزعم بعضهم سراً او علانية ، ان مصر زعيمة الاقطار العربية (١) . وما ادري كيف يوفقون بين هذه العقلية وبين زعمهم هذا . ومثلاً آخر ، كأن يقولوا:

وهو كتاب شهد له كل من قرأه انه بالغ منتهى التحقيق والتمحيص ما معناه : (ان العالم العربي كان يشمل في القرون الوسطى – عدا الاقطار العربية المعروفة اليوم – العجم وتركية واسبانية وايطالية وفرنسة . وان الاقطار العربية الصرف ، والتي لا تزال عربية حتى الان هي : الشام ، والعراق والحجاز ، ونجد ، واليمن ، ومصر والسودان وطرابلس ، وتونس ومراكش والجزائر) .

(١) اذا آمنت مصر كما ينبغي لها ، بالقومية العربية – ومن غير الطبيعي ان لا تؤمن يوما – لن يصعب عليها ان تتزعم الاقطار العربية . ففي مصر علم وعمران . وفيها كثرة عدد ووفرة غنى . ومصر بعد عربية ، عريقة في العروبة ، رغم ما كان يبدو من قبل ، من عزوفها عن الوطن العربي ، ولامبالاتها بقضية العرب ، وها هي اليوم تبدي كثيراً من الحيوية والنشاط في سبيل هذه القضية ، ونحن نرجو ان تكون هذه الحركة الجديدة طبيعية ، غير مصطنعة ، كما هو من المفروض ان تكون . وان يكون العامل فيها والباعث عليها ، احساس قومي عربي خالص . وان لا يكون فيها اي اثر للنكاية بفريق .. والاستغلال لفريق .. وان لا تكون صدى لاقوال عبد الرحمن عزام ، التي يفهم منها ، ان مصر تعتبر الاقطار العربية ، وخاصة سورية ، ساحة حيوية لها يجب ان يستعمروها كما تستعمر فرنسة ، مثلا ، افريقية الشمالية !! وان لجمال عبد الناصر وصلاح سالم ورفاقهما في الحكم الفريد في مصر ، اقوالا لها هذا المفهوم . فمما يقوله عزام ، وهذا قليل من كثير ، ما يلي : نحن لا نستطيع ان نترك سورية تعمل ما تشاء بنفسها ، لان الاستراتيجية الطبيعية لنا تقضي ان تكون سورية في ساحتنا الحيوية ... » (العروبة اولا . لساطع الحصري ص . – ١١٩ –

الجامعة الاسلامية تقضي بكذا... ووجه الصعوبة في تحقيقها كذا... وهم في معرض الكلام على العرب والاقطار العربية – بينما ليس فينا من يبحث عن هذه الجامعة ويعنى بها ، لانها مستحيلة الحدوث من الناحية السياسية ؛ فنحن في حاجة الى العناية بالجامعة العربية ، واستقلال العرب ، ومستقبل العرب – وهذا مزج غير موفق ، ينكره العلم وتنكره القومية في مثل عصرنا هذا ، عصر العلم وعصر القوميات .

وما ادري ماذا يُبقي هذا البعض من اخواننا المصريين لايران مثلا، والافغان وتركيا، وغيرهن من الامم الشرقية، حينما يعرّفون الشام والعراق واليمن وغيرهن من الاقطار العربية بقولهم : (اخوات مصر الشرقيات) ام ان اخواننا هؤلاء ، لا يرون فرقاً بين ما يربطهم من روابط ، بايران وافغان وتركيا، وبين ما يربطهم من روابط بالشام والعراق واليمن وغيرهن من الاقطار العربية ! !

اذا كان الامر كذلك ، فتكون مصيبتنا بعضنا بالبعض الآخر ، اشد مما قد يخطر في بال بعض المفكرين ؛ انها تكون مصيبة ممثلة في مرض يتصل رأسا بالفهم والروح ، فينتج هذا الضلال البعيد في التفكير ، والحكم ، والاتجاه والتوجيه .

انما مصر قطر من الاقطار العربية ليس غير ؛ والاقطار العربية مجتمعة جزء من الشرق .


الوطن العربي
البحر المتوسط
الجزائر
تونس
مراكش
طرابلس الغرب
الشام
العراق
السودان
حضرموت
اليمن

ان «قضية العرب» قضية عربية ليس إلا . ليست اسلامية ولا شرقية ، بيد اننا لا ننكر ، ولعله ليس من العقل ولا من العلم ولا من الخير ، ان ننكر انها تتصل بالاسلام وبالشرق. على انه من الضروري جداً — لكي تنتفع القضية من هذا الاتصال المنفعة المرجوة — ، ان نفهم فهما صحيحا نوع هذا الاتصال ومداه .

تتصل « قضية العرب » بالشرق ، على اعتبار ان العرب شرقيون ، وعلى اعتبار انهم كانوا ذوي شأن ووزن في هذا الشرق ، قرونا طويلة ، فاثروا فيه وتأثروا به. ولا يمنع زوال هذا الشان — طبعا — استمرار تشابك المصالح وتبادل المنافع وعواطف الود والصداقة الخالصة، بين الامة العربية وبين بقية الامم في الشرق، ليس اكثر . ونحن وان نكن ندعو الى الاخذ بعين الاعتبار هذا التشابك في المصالح والعلاقات بيننا وبين الشرق ، حتى وهذا التشابه بيننا وبين كثير من الامم الشرقية ، في الاوضاع القائمة ، فهذا لا يعني ولا يمكن ان يعني ان تفنى «قضية العرب» في القضية الشرقية . وان هذا الاتصال الذي ذكرناه ، ينبغي ان يُفهم منه انه اتصال لقضية العرب مجتمعة غير مجزأة ، او للامة العربية موحدة ، على اعتبار انها « كل » لا يتجزأ ، بالامم الشرقية ، كل امة على حدة ، وعلى اعتبار ان كل امة منها مجتمعة ، «كل» لا يتجزأ . ولا يزيد

اتصال «قضية العرب» بقضية اية امة شرقية. عن اتصال قضية اية امة شرقيه بقضية العرب. او باية قضية لاية امة من امم الشرق.

وليس من العقل. ولا من المنطق. ولا من الكرامة ولا من المصلحة، ان تذيب اقطار العرب مفككة، شخصيتها في دنيا الشرق. ناسياً كل قطر دنياه الخاصة - الدنيا العربية -. ثم انه يجب ان لا ننسى ان قضيتنا تتصل بالغرب من بعض زوايا الحياة، في هذا المعترك العالمي الصاخب، و«الضيق» بالنظر الى هذه المدنية الدولابية، والذرية القائمة، والممعنة في النمو والشمول، اتصالا من الحكمة ان لا نتعامى عنه، وان نستغله اذا استطعنا ونستطيع - اذا نحن كانت لنا دولة عربية اتحادية واحدة. وان الوطن العربي اقرب جغرافياً الى بعض البلدان الغربية منه الى بلدان كثيرة شرقية. وفي هذا ما يمكن ان ننتفع به اذا كنا اقوياء..

وقضية مصر انما هي عند العاقل الصحيح التفكير، البعيد النظر، جزء من «قضية العرب» العامة، لا يمكن ان تكون قضية تامة بنفسها، مستقلة عن القضية العربية الكبرى، استقلالا تاماً. واذا كان يخطر لناس انها كذلك، وانها تعيش على هذا الاساس، فمن الخير ان نذكر هذا الناس، بان حياتها تكون حياة موقتة وغير طبيعية، وكل ما هو غير طبيعي لا يدوم. واخوات مصر اذن، كالشام والعراق والحجاز وغيرهن من

مثلهن ، اخوات مصر العربيات ؛ وليس الشرقيات . فحينما يريد انسان ان يعرّف ابن عم له مثلا ، الى انسان ما ، من المفروض ان يقول : فلان ابن عمي ، وتجمعنا مدينة واحدة ، اذا شاء ان يزيد ، اي ونسكن مدينة واحدة ، ولا يقول (فلان ابن بلدنا ...) متناسيا صلة القربى . «فالشرقية» تجمع امماً كثيرة ، وهكذا «الغربية» ما اكثر ما تجمع من امم . ولكل امة تامة ، سواء اكانت في الشرق ام في الغرب شخصيتها الجامعة المميزة . وقضيتها العامة (الخاصة) ، ما تتصل بغيرها الا بمقدار . ولا يصح هذا الاتصال كما قدمنا للاجزء» منفصلا ، دون ال «كل» . وانما لـ «كل» بـ «كل» اخر .

وتتصل «قضية العرب» بالاسلام ، اتصالا في الواقع ، وثيقا ، ولكن حذار ان يُفهم من ذلك انها ، قضية اسلامية . تتصل «قضية العرب» بالاسلام ،على اعتبار ان الاسلام دين عربي ، تبع فيه الناسُ العربَ ولم يتبعوا هم احداً . رافقته العروبة بعد ان بعثها على طبيعتها الاصيلة ، وفي روعتها الجليلة المحسنة ، الى كل بلد ؛ وطبعت بطابعها من آثاره العظيمة في عالمي الروح والمادة كل اثر .

لقد جاء الاسلامُ العربَ على يد رجل منهم . وكانوا يومئذ قبائل متفرقة ، متناحرة ، يفتك في القسم الاكبر منها الجهل

والفقر والفساد والفوضى، ويمزّق بعضها بعضاً، في لاشيء، ومن اجل لاشيء، سادرة في حياتها تلك، لا يحدوها أمل رفيع؛ ولا يهزّ نفوسها مثل أعلى . حتى اذا جاءها الرسول العربي الامين بالاسلام - قرآنا عربيا خالصاً - جاءها الهدى فاهتدت. وخلقت منها النُظُم الروحية والاخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، التي شرعها الدين العربي الحنيف - أمة - ما كانت لتغدو كذلك، بالمعنى المفهوم الكامل من كلمة امة، لولا هذه النُظُم . وبكلمة اجمع لولا الاسلام . الاسلام، الذي أثّر في نفوس العرب تأثيراً عجيباً، لم يقتصر على الذين دانوا به منهم، بل تناولهم جميعاً؛ ولاسيما من جهة ابراز الخصائص والمزايا العربية، وانفعالهم بها، ممن دانوا به، او ممن كانوا قد دانوا بالمسيحية من قبل .

وان الوثبة العجيبة التي وثبها العرب في القرن السابع بعد المسيح، فقضت على تلك الحياة الجاهلة الجامدة، الباردة الجافة المتفسخة، التي كانوا يحيونها، ودكت معالم الوثنية في الجزيرة، وما وراء الجزيرة، وفتحت امامهم افاقا واسعة، فراحوا يقضون على الامبراطورية الفارسية، والامبراطورية الرومانية، ويشيدون على انقاضهما ملكا واسعاً شاسعاً ضخما قويا، يزدهر بشتى العلوم والمعارف، ومختلف الوان الحضارة والعمران، ويقوم منارة للهدى والعدل ومكارم

الاخلاق في آسية وافريقية، واوربة ايضا، ان تلك الوثبة العجيبة التي تبدو من «الحوادث الخارقة في التاريخ، والتي يكاد المرء لا يجد لها تعليلا في القوانين الاجتماعية ونظم الحياة»، يجد لها علماء التاريخ والاجتماع تعليلا في الدين العربي: «الاسلام». هذا الدين السمح، وما تركه من اثار في نفوس الشعوب والقبائل العربية التي خلق منها هذه الامة، تأتي بالمدهشات[1]. ومع هذا هل يصح ان تكون «قضية العرب» قضية اسلامية؟ نستطيع ان نجيب من دون تردد، وفي اقتناع ويقين: (لا). ان هذا كله لا يجعل من «قضية العرب» قضية اسلامية. ففي العرب مسلمون وغير مسلمين[2]. وان الدين غير القومية. انه شيء والقومية شيء آخر. وهذا امر فهمه بسيط جداً لمن يريدان يفهم.. والا لوجب ان يكون كل مسلم على وجه الارض عربياً

(١) يقول «جيبون» ان في عبقرية النبي العربي، وفي خلال امته وروح دينه، اسباب انحلال الدولة الشرقية وسقوطها – اي اسباب وثبة العرب العجيبة – وانشاء العرب ذلك الملك العظيم والدول الزاهرة. «مواقف حاسمة في الاسلام ص ١٢ – ١٣.

(٢) حتى ولو كان العرب كلهم مسلمين، لن تكون «قضية العرب» قضية اسلامية. لان العربي فخور قبل كل شيء باصله وقومه، ومفطور على الزهو والتيه بهذا الاصل وهذا القوم، على الناس جميعاً. وهذه قضية الترك، والترك كلهم مسلمون، ليست قضية اسلامية. انها قضية قومية صرف. وقضية العرب قومية قبل غيرها من قضايا الامم. وقد يصح العكس فتكون قضية الاسلام قضية عربية ولا يعكس...

لانه مسلم[1]. وان يكون المسيحيون كلهم على وجه الارض ابناء قومية واحدة، لانهم مسيحيون. وهذا مستحيل.

ولو كانت «قضية العرب» قضية اسلامية. لتساوى في نظر المسلمين من العرب، المسلمون في الدنيا جميعا، وليس الامر كذلك. واحسبُ انه لن يكون كذلك ابـــداً، فالوشائج الدينية لا تغني في مثل هذا الامر الخطير. ولا تقوم على اسس دينيـــة، قضية امة دون امة، وعلاقات دولة بدولة. وما دام الانسان مفطوراً على المفاخرة باصله وقومه، وما دام لكل قوم خصائصهم، ومميزاتهم، فستظل الاسس القومية، اثبت الاسس واصلحها، لكيان امة، وقيام دولة. وكلما ارتقت امم الدنيا علمياً وعقلياً واجتماعياً، وضحت هذه الحقيقة، ودخلت في العدم اساليب نكرانها والمكابرة فيها.

وما الحروب الصليبية، التي اشعلتها امم اوربة في القرون الوسطى، ضد العرب، فوضعت الاسلام في ناحية، والنصرانية في ناحية اخرى، الا صورة، من صور الجهل ـــ المقيت اشد المقت ـــ بالدين؛ وبالقومية ايضا؛ احسب انه لن يبدو كما كان، مرة اخرى ابداً. قد يقول البعض: ان في موقف

(١) لعل في هذا وحده، اي في ان يصبح كل مسلم على وجه الارض عربياً، وجهـــاً من وجوه تحقيق رسالة الاسلام، وخيراً عميا للانسانية، ولكن هذا مستحيل..

اوربة، واميركة ايضا، من الشرق اليوم، شيئا من ذلك الروح، لم يمنع الرقي وجوده (١) قد يكون. بيد انهم لا يتنادون باسم الدين ـ كما كانوا يفعلون ـ وان اضمروه، حينما يكون دين المعتدي غير دين المعتدى عليه، ويخجلون من التصريح بهذا؛ ويزيدنا هذا يقيناً، بان الفروق بين القومية والدين، تزداد وضوحاً من جيل الى جيل، وستصبح من الوضوح، بحيث يخجل اغزر الناس جهلا.. ان يخلط بينهما، وان يعمل ويقول في هذه الحياة الدنيا، الا في سبيل امرين اثنين لا ثالث لهما: القومية الصحيحة والانسانيه الحق.

---

(١) ان روح العدوان والاستعلاء الذي نشاهده في الغرب اليوم، لا دين له، وانما دينه الشهوات والمطامع والمكاسب، وتطبقه دولة مسيحية على دولة اخرى مسيحية، كما قد تفعل، في الشرق ايضا، دولة اسلامية على دولة اخرى اسلامية..

فهرست

T

S

Back

B

من كلمة لعالم جليل في هذا الكتاب

هذا الكتاب كتاب ايمان . الفه رجل مؤمن بوطنه وقومه ، ايمانا مجرداً عن كل مطمع ، الا مصلحة امته واعلاء شأنها . وهو في ابحاثه يثبت عروبة الاقطار العربية ، وعروبة الناطقين بالعربية ، ويؤيد وحدتهم . ويدحض الافتراض التاريخي الذي يزعمه الشعوبيون ، وغيرهم من اعداء العرب . كل هذا بعبارة بينة ، وحجة دامغة ، ونصوص تاريخية استشهد بها من اقوال العرب ، وغير العرب .

« عارف النكدي – مجلة المجمع العلمي – ج٣ : ٥٠ ؛ مجلد ٢٣ تموز سنة ١٩٤٨ »

بعض اقوال لمؤلف هذا الكتاب:

١ لئن تحكم علي السلطة بالسجن والنفي جوراً وطغيانا ، لعملي من اجل حق وطني في الحرية والكرامة والاستقلال ، خير من ان يتهمني وطني بالمسرة على هذا الحق ، او التخلي عنه ، او الاستخذاء لهذه السلطة ، حتى ولو كان مع هذا ما يشبه جنات الله .

٢ – تطلب الاتحاد العربي عفو الايمان ، لان الاتحاد بذاته ، في العائلة الواحدة هو الاصل وهو المبدأ .

٣ – كل يهودي صهيوني ولا يعكس . ومعنى ذلك انه قد يكون في الانكليز والاميركان والفرنسيس والروس وغيرهم ، حتى وفينا نحن العرب ، صهيونيون ولكن ليس في اليهود غير صهيوني .

من كتب دار الحكمة التي تصدر قريباً :

الثائرون في التاريخ : سلسلة صدر منها الحلقة الاولى

قصة الشاعر الالماني العظيم لسينك :

نقلها الى العربية المجاهد الكبير الدكتور امين رويحة

طريق فلسطين : تاليف الاستاذ علي ابو حيدر

مثلهن الاعلى : تاليف الاستاذ الشيخ عبدالله العلايلي

مطابع الوفاء – بيروت

الثمن : ليرتان لبنانيتان او ما يعادلها